

أسس التربية الذاتية فى فكر الإمام ابن الجوزي
وتطبيقاتها فى الأسرة المسلمة

إعداد

أ/ علي إبراهيم عمودي الزبيدي

الماجستير فى التربية الإسلامية – كلية التربية – جامعة أم القرى

مقدمة الدراسة:

تسعى التربية الإسلامية لتربية المجتمع على الفضيلة بصورة عامة، وفي نفس الوقت فهي لا تغفل عن دور الفرد داخل هذه المنظومة، ليكون مصدر خير للمجتمع وتكامل بنيانه، فصلاح المجتمعات في الحقيقة ما هو إلا صلاح أفرادها، وتربية الأفراد في الإسلام- كما ذكر يالجن- تتم بطريقتين، هما:

١- التربية عن طريق الآخرين.

٢- التربية الذاتية: وهي التي يعد فيها الإنسان نفسه بنفسه بالمواصفات التي يريدها، وذلك عن طريق معرفة الأساليب الخاصة بهذه التربية وتطبيقها (يالجن، ١٤٢٥هـ، ٧)

ومن أهم طرق معرفة الفرد بالأساليب الخاصة في اكتساب التربية الذاتية هي: العلم بالشيء ثم العمل به، وذلك بتطبيق العلم عملياً على سلوكه، مثلاً: الناشئ في الإسلام يتعلم أن البشاشة وطلاقة الوجه والتواضع ولين الجانب والإخلاص والصدق واحترام النظام وغيرها من الأخلاق الفاضلة: أنها من الأمور التي حثت عليها الشريعة الإسلامية، ورغبت فيها، فبعد هذا التعليم ينقسم المتعلمون إلى قسمين:

القسم الأول: لم يطبق هذه الأخلاق على نفسه، مع العلم أنه تعلمها، فالمشكلة هنا ليست مشكلة علم، إنما مشكلة تطبيق، فهذا القسم لم يهتم بتربية نفسه التربية الذاتية المستمرة بعد العلم.

القسم الثاني: طبق هذه الأخلاق على نفسه عملياً في اجتماعاته وفي خلواته، وفي جميع مراحل عمره، وأعطى كل مرحلة ما لها وما عليها، فهذا القسم من الناس أهتم بتربية نفسه التربية الذاتية المستمرة بعد العلم، وأعدّها إعداداً سليماً بالطريقة التي تناسبه، والفرد إذا أهتم بتربية نفسه التربية الذاتية المستمرة، تفتحت له أبواب وأفاق ووسائل تربوية ذاتية جديدة لم يكن يعلمها من قبل، يتوصل إليها بالممارسة والتحري وبعد النظر، ويتمكن من الاكتشاف بنفسه والاهتداء إلى ما يناسب قدراته وإمكانياته، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، ومن يتحرى الخير يعطه، ومن يتق الشر يوقه ...) (السيوطي، ١٤٢٣هـ، ٤٣٠).

وفي هذا الحديث يظهر الفرق بين التعلم الذاتي والتربية الذاتية، يقول المناوي: " (إنما العلم) أي اكتسابه (بالتعلم) بضم اللام على الصواب، ويروى بالتعليم أي ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ عن الأنبياء وورثتهم بالتعلم منهم، وما يفيد الرياضة والمجاهدة إنما هو فهم يوافق الأصول ويشرح الصدور، (وإنما الحلم بالتحلم) أي تبييض النفس وتنشيطها إليه، (ومن يتق) وفي رواية يتوق (الشر يوقه) بضم الياء وفتح القاف من الوقاية (ومن يتحرى الخير يعطه) بالبناء للمجهول أي ومن يجتهد في تحصيل الخير يعطه الله تعالى إياه، ومن جد وجد" (المناوي، ١٤٠٨هـ، ٣٦١).

ومما يدل على التربية الذاتية ما كان من حال النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم كان معروفاً بأنه أكثر أهل مكة صدقاً وأمانةً ومروءةً، وسموه الصادق والأمين، وأشتهر وعُرف بهذه الصفات الحميدة قبل نبوته صلى الله عليه وسلم، على الرغم أنه عاش في بيئة جاهلية تعبد الأصنام وتشرب الخمر، والرسول صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم قط، ولم يشرب خمر قط، يقول الشوكاني في تفسيره: " قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثناً قط؟ قال: لا، قالوا: فهل شربت خمر قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما

كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان، وبذلك نزل القرآن ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكِنَّا وَلَا الْإِيمَنُ ﴾ [الشورى: ٥٢] (الشوكانى، ١٤١٤هـ، ٦٢٥).

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعتزلهم ويذهب إلى غار حراء، وعن هذه الفترة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: "حبب إليه الخلاء، وكان

يخلو بغار حراء فيستحنت فيه، وهو التعبد الليلي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٧).

لذا فإن من مميزات التربية الإسلامية أن الفرد المسلم إذا أصلح نفسه، فإن صلاحها يعود

نفعها إليه في الدنيا والآخرة، يقول الله سبحانه تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿١﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿٢﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، ويقول تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ [النجم: ٣٩]، ويقول سبحانه

وتعالى: ﴿ وَمَن زَكَّاهُ فَإِنَّمَا يَنزِلُ عَلَيْهِ لِنَفْسِهِ ﴿١٨﴾ [فاطر: ١٨]؛ وفي تفسير الآية الأخيرة يقول السعدي: "أي: ومن زكى نفسه بالتقوى من العيوب، كالرياء والكبر والكذب والغش والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلي بالأخلاق الحميدة، من الصدق والإخلاص والتواضع ولين الجانب والنصح للعباد وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تركيبه يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء" (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٦٨٨). ولأهمية هذا الموضوع فقد اختار الباحث التربية الذاتية للحديث عنها.

قضية الدراسة:

التربية الإسلامية تعمل على إعداد الإنسان إعداداً سليماً في جميع جوانب الحياة المختلفة، ثم بعد ذلك تعتبره مسؤولاً عن تصرفاته وحياته، وهذه المسؤولية تفرض على الإنسان أن يبادر إلى تربية نفسه، يقول الله سبحانه تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَضُرُّوهُم مِّنْ ضَلَالٍ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥]. ويقول سبحانه تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ﴿١٥﴾ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نَزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نَزِرُ وَاِزْرَةً وَلَا نَزِرُ وَاِزْرَةً ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥].

ولأهمية هذا الموضوع سعى العاملون في مجال التربية إلى وضع استراتيجية جديدة للتربية الذاتية، ولكن هذه الاستراتيجية- كما ذكر حمدان- تحتاج إلى جهود منظمة خاصة لتشغيلها وتقديم رسالتها التربوية من جانب المجتمع والأفراد بحد سواء (حمدان، ١٤١٠هـ، ٩٨).

ولعل البحث في الفكر التربوي الإسلامي المتمثل في علمائه الأفاضل، يساهم في وضع استراتيجية جديدة للتربية الذاتية، يقول بكار: "نحن بحاجة إلى دراسة التربية الإسلامية، فتراثنا غني بالتجارب والأساليب والنماذج التي تثير الإعجاب، والتي نرى أنها تمثل استجابة ظاهرة للمنهج الرباني الذي أكرمنا الله به، والتي نرى أنها مازالت تسعفنا بصور شتى في إصلاح شؤوننا اليوم، في إعمار الأرض التي نعيش عليها، وهذا كثير جداً في تراثنا" (بكار، ١٤١٥هـ، ٣٦).

وهذا ما شجع الباحث إلى تناول هذا الموضوع من خلال تجربة وفكر عالم من علماء المسلمين تلقى علومه من المصدرين الأساسيين للتربية الإسلامية، القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

والعالم هو الإمام ابن الجوزي، والذي يرى الباحث أن له أفكار جوهرية في التربية الذاتية جاءت متناثرة في بعض مؤلفاته، كُشف من خلالها عن أسس ووسائل التربية الذاتية، ثم قُدمت بعض التطبيقات التربوية للأسرة المسلمة في كيفية تأسيس التربية الذاتية المستمرة في نفوس أبنائها.

❖ أهداف الدراسة:

١. توضيح مفهوم التربية الذاتية من فكر الإمام ابن الجوزي.
٢. بيان أسس التربية الذاتية من فكر الإمام ابن الجوزي.
٣. التعرف على وسائل التربية الذاتية من فكر الإمام ابن الجوزي.
٤. تقديم تطبيقات للتربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي داخل الأسرة المسلمة.

❖ أهمية الدراسة:

١. تحقق هذه الدراسة أحد أهداف الدراسات العليا بقسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى، وهو الكشف عن التراث التربوي الإسلامي.
٢. قد تلفت هذه الدراسة الأنظار إلى نوع من أنواع التربية في الإسلام، حثت عليها بعض آيات القرآن الكريم، ومارسها النبي صلى الله عليه وسلم، ورغب وحث عليها، وهذه النوع من التربية في الإسلام هي: التربية الذاتية.
٣. قد تفيد هذه الدراسة الفرد المسلم في معرفة وسائل التربية الذاتية الإسلامية، وكيفية تطبيقها على نفسه، ليحقق الغاية التي من أجلها أوجده الله عز وجل على هذه الأرض.
٤. وتبرز أهمية هذه الدراسة في الفائدة التي تقدمها للأسرة المسلمة في كيفية تطبيق التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي على أبنائها.

❖ منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الاستنباطي في استنباط مفهوم وأسس ووسائل التربية الذاتية من فكر الإمام ابن الجوزي من خلال كتاباته المتناثرة في مصنفاته، ومن هذه الاستنباطات قدم الباحث تطبيقات تربوية مناسبة للأسرة المسلمة.

❖ حدود الدراسة:

اقتصرت هذه الدراسة عند الحديث عن مفهوم وأسس ووسائل التربية الذاتية على ما ألف الإمام ابن الجوزي، أما عند الحديث عن ترجمة الإمام ابن الجوزي فقد عرضت الدراسة لما ذكر عنه في ذلك الشأن.

❖ مصطلحات الدراسة:

تعريف التربية الذاتية:

يعرفها أبو داف فيقول: "ونقصد بالتربية الذاتية هنا مايقوم به الإنسان من تربية لنفسه بنفسه من خلال تعهدها بالمحاسبة والتقويم، وحملها على عمل الخير، وزجرها عن فعل السوء" (أبو داف، ٢٠٠٧، ١٠٩).

وتعرفها النجار بأنها: "الجهد التربوي الذي يبذله الفرد للإرتقاء بشخصيته بجميع جوانبها وأبعادها معتمداً على المجالات والوسائل التي بينها الإسلام المتمثلة في الطاعات والعبادات والمعاملات والسلوكيات والأنشطة" (النجار، ٢٠٠٩، ٧).

التعريف الإجرائي للتربية الذاتية الذي يقصده الباحث في هذه الدراسة:

الجهد التربوي المستمر الذي يبذله الفرد في تربية نفسه بنفسه للارتقاء بها في جميع المجالات الحياتية المختلفة، وذلك بتطبيق الوسائل المشروعة التي أقرها الإسلام، والمستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي.

الدراسات السابقة:

دراسة النجار (٢٠٠٩): هدفت تعرف مفهوم التربية الذاتية في الإسلام وخصائصها، وإبراز مقومات التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، بيان مجالات التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، تحديد وسائل التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، تقديم صيغة ملائمة للاستفادة من التربية الذاتية المستمدة من الفكر التربوي الإسلامي في عصرنا الحالي، واستخدمت منهج تحليل المحتوى، وذكرت الدراسة جملة من النتائج منها: أهمية التربية الذاتية في بناء الشخصية وتوجيهها وجهة سليمة، حيث إنه إذا أصلح كل فرد نفسه وربى ذاته، خلص المجتمع من الأمراض والانحرافات واتجه للبناء وللإصلاح، اشتمل الفكر التربوي الإسلامي على مقومات تربوية مهدت الطريق أمام المؤسسات، استشعار المسؤولية الفردية والإيمان بحرية الفرد، والإيمان بالجزاء الفردي يوم القيامة، وقيام التربية الذاتية على العلم والفقهاء وقيامها على الصبر والمسؤولية التربوية الجماعية.

دراسة عطار (١٤١٩هـ) هدفت الكشف عن الفكر التربوي لابن الجوزي واستخراج المبادئ والأساليب والأسس التربوية لديه، ومقارنة بعض آرائه ببعض الآراء التربوية المعاصرة، وبيان مدى الاستفادة منها. واستخدمت خمس مناهج وهي: التاريخي، والوصفي، والتقويمي، والمقارنة، والاستنباطي، ومن ضمن ما توصلت إليه الدراسة: إمكانية الاستفادة من التوجيهات، والمبادئ التربوية لابن الجوزي في الواقع المعاصر، وأسبقيّة ابن الجوزي لعلماء التربية في بعض آرائه التربوية.

دراسة عوض (٢٠٠٥): هدفت إلقاء الضوء على جوانب الفكر التربوي لدى الإمام ابن الجوزي، وإبراز الأسس الفلسفية والثقافية والاجتماعية التي قام عليها فكره التربوي. وذلك للمساهمة في الكشف عن إسهاماته في مجال التربية، ومدى الاستفادة من تلك الأفكار في الوقت الحاضر، واعتمدت على المنهج التاريخي، مستعينة بالوصف والتحليل، ومن أبرز نتائج الدراسة التقاء بعض المبادئ التربوية في فكر ابن الجوزي مع الفكر التربوي الحديث.

دراسة الأهدل (١٤١٣هـ): هدفت توضيح مفهوم التربية الذاتية، وأهميتها للفرد، وإبراز بعض مبادئ التربية الذاتية المستنبطة من الكتاب والسنة، وتحديد أهم أساليب التربية الذاتية من الكتاب والسنة، واعتمدت على المنهج الوصفي، وكذلك على المنهج الاستنباطي، وذكر الباحث جملة من النتائج، من أهمها: أن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة غنيان بالمبادئ التربوية وخاصة مبادئ التربية الذاتية، ومن أهم أساليب التربية الذاتية: العبادات الإسلامية مثل قراءة القرآن، وذكر الله تعالى، وقيام الليل.

التعليق على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السابقة، يُلاحظ أن الدراسات السابقة المختصة بالتربية الذاتية ركزت على وسائل التربية الذاتية الإيمانية، بخلاف الدراسة الحالية فقد اشتملت على وسائل التربية الذاتية في المجالات الحياتية المختلفة، الإيمانية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية والصحية، وكانت شاملة لاحتياجات الفرد المختلفة، وكذلك قدمت الدراسة الحالية تصور مقترح للأسرة المسلمة في كيفية تطبيق وتأسيس التربية الذاتية في نفوس أبنائها.

أما الدراسات السابقة المختصة بالإمام ابن الجوزي، فإنها تناولت فكر الإمام ابن الجوزي التربوي بشكل عام، ولم تركز على التربية الذاتية في فكره، أما الدراسة الحالية فقد ركزت على التربية الذاتية في فكره، وقدمت من خلالها تصور مقترح للأسرة المسلمة في كيفية تطبيق وتأسيس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي في نفوس أبنائها.

وتتشابه الدراسة الحالية مع بعض الدراسات السابقة في الحديث عن التربية الذاتية، وفي المنهج الاستنباطي، واختلفنا في أن الدراسة السابقة لم تقدم تطبيقات تربوية مقترحة، أما الدراسة الحالية ركزت على التربية الذاتية عند ابن الجوزي، وقدمت تصور تربوي مقترح للأسرة المسلمة في تطبيقها على أبنائها.

كما تتشابه مع بعض الدراسات السابقة، في إلقاء الضوء على الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي، واختلفت الدراسة الحالية أنها ركزت على تربيته الذاتية، وتختلفان أيضاً في المنهج، وقدمت الدراسة الحالية تصور مقترح للأسرة المسلمة المعاصرة في تطبيق التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي على أبنائها.

الإطار المفاهيمي للدراسة:

المحور الأول: مفهوم التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي:

يقول يالجن: " مفهوم التربية الذاتية الإسلامية هو عمل الإنسان لبناء نفسه بنفسه بتطبيق أساليبه الخاصة وفق أبعاد الشخصية الإسلامية من الناحية العقلية والعلمية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والقيادية والصحية والاقتصادية والإبداعية" (يالجن، ١٤٢٥هـ، ٨)، ويقول الأهدل: " أن هناك أسلوباً لتلقي التربية وتشرب المعرفة من دون المدرس، وهو ما يعرف بالتربية الذاتية أو التلقائية، حيث يربي الفرد نفسه ويوجهها وجة سليمة بما يوافق الغاية التي من أجلها أوجده الله عز وجل على هذه البسيطة، وصيره فيها خليفة" (الأهدل، ١٤٢٣هـ، ٣). وتقول النجار في مفهوم التربية الذاتية: " بأنها عبارة عن الجهد التربوي الذي يبذله الفرد للإرتقاء بشخصيته بجميع جوانبها وأبعادها معتمداً على المجالات والوسائل التي بينها الإسلام الممتلئة في الطاعات والعبادات والمعاملات والسلوكيات والأنشطة" (النجار، ٢٠٠٩، ٢٦)، ويقول حمدان عن مفهوم التربية الذاتية عند التلاميذ بأنها: " سلوك ذاتي يقوم به التلاميذ طوعاً لتحقيق قيم ومهارات شخصية اسمى بذاتها من التحصيل الأكاديمي التقليدي، واشمل أثراً منه" (حمدان، ١٤١٠هـ، ١٧).

ومن الأقوال السابقة لبعض التربويين المعاصرين استنبط الباحث خاصيتين لمفهوم التربية الذاتية اشترك فيه الجميع، وهما:

الخاصية الأولى: في التربية الذاتية يكون الفرد هو المسؤول عن تربية نفسه بنفسه، بخلاف التربية التي تتم عن طريق الآخرين كالأب والأم والمعلم وغيرهم.

الخاصية الثانية: تقوم التربية الذاتية على حرية الفرد في اختيار الوسيلة التربوية المشروعة والمناسبة لقدراته، بخلاف التربية التي تتم عن طريق الآخرين التي يكون الفرد فيها غالباً مجبوراً على الوسيلة التربوية.

وفي عصر الإمام ابن الجوزي من الطبيعي أن يكون مصطلح (التربية الذاتية) غير متداول كغيره من المصطلحات التربوية الحديثة، ولكنه - رحمه الله تعالى - استخدم عدة مصطلحات اتفقت في مضامينها مع خاصيتي مفهوم التربية الذاتية عند بعض التربويين المعاصرين.

ومن المصطلحات التي كان يستخدمها - رحمه الله تعالى - واتفق مضمونها مع الخاصية الأولى لمفهوم التربية الذاتية وهي أن يربي الفرد نفسه بنفسه: مصطلح (رياضة النفس)،

ومصطلح (تهذيب النفس)، ومصطلح (مجاهدة النفس)، ومصطلح (محاسبة النفس)، وأورد الباحث أمثلة من أقوال الإمام ابن الجوزي استخدم فيها هذه المصطلحات.

أولاً: مصطلح (رياضة النفس):

استخدمه الإمام ابن الجوزي في مواضع متفرقة من كتاباته، اتفقت في مضامينها مع الخاصية الأولى للتربية الذاتية، من ذلك توجيهه لطالب العلم إلى تربية نفسه بنفسه، فيقول: "وينبغي لطالب العلم... أن يجتهد في رياضة نفسه، والعمل بعلمه" (ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ، ٣٢٣)، واستخدم مصطلح (رياضة النفس) عندما بين أن لهذه التربية وسائل وطرق تميزها عن غيرها، فقال: "اعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن تؤخذ أولاً بالعنف ولكن بالتلطف، ثم بمزج الرغبة والرغبة، ويعين على الرياضة صحة الأختيار، والبعد على الأشرار، ودراسة القرآن والأخبار، وإجالة الفكر في الجنة والنار" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ٥٨)، ثم بين عاقبة وجزاء المتصفين بهذه التربية مستخدماً مصطلح (رياضة النفس)، فقال: "لما قوم المؤمنون أنفسهم بالرياضة وقع عقد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْجَنَّةَ﴾" [التوبة: ١١١]. (ابن الجوزي، دت، ٢٧)

ثانياً: مصطلح (تهذيب النفس):

وهذا المصطلح استخدمه الإمام ابن الجوزي في أكثر من موضع، اتفقت في مضامينها مع الخاصية الأولى للتربية الذاتية، من ذلك أنه يرى أن تهذيب النفس من ضروريات الاستعداد للحساب الفردي يوم القيامة، والاستعداد للحساب الفردي يوم القيامة من دوافع التربية الذاتية، يقول- رحمه الله تعالى:- "اقبل نصحي وأقبل على التهذيب ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١]، يا مطالباً بأعماله يا مسؤولاً عن أفعاله، يا مكتوباً عليه جميع أقواله، يا مناقشاً على كل أحواله، نسيانك لهذا أمر عجيب" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ١٠٦)، وجعل- رحمه الله تعالى- تهذيب النفس من وسائل علاجات الكبر والرياء والنفاق والجهل، فقال: "وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة بالعلم ليقع التهذيب بإصلاح دائه" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ٢٠٨)، وتهذيب النفس عنده من ثمرات العلم النافع (ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ، ٢٤٨).

ثالثاً: مصطلح (مجاهدة النفس):

ومما يزيد توافق هذا المصطلح مع مصطلح (التربية الذاتية)، ما جاء في قول ابن الجوزي: "مجاهدة النفس بالنفس أفضل من مجاهدة الغير بالنفس" (ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ، ٥٤٠).

ومن هذا القول استنبط الباحث أن التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي على قسمين:

القسم الأول: مجاهدة النفس بالنفس، وهو عين التربية الذاتية وأهم خصائصها.

القسم الثاني: مجاهدة الآخرين بالنفس، وهو دليل على أن المسؤولية الجماعية أو التربية الاجتماعية، وإرادة الخير للمجتمع من الأمور التي تكتمل بها التربية الذاتية.

رابعاً: مصطلح (محاسبة النفس):

ومما يزيد توافق هذا المصطلح مع مصطلح (التربية الذاتية)، ما جاء في قول ابن الجوزي متحدثاً عن ذاته: "تفكرت في نفسي يوماً تفكر محقق، فحاسبته قبل أن تحاسب" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤٧٤).

وبالعودة إلى الخاصية الثانية للتربية الذاتية والمستنبطة من مفهومها عند التربويين المعاصرين وهي: قيامها على الحرية الفردية في اختيار الفرد الوسيلة التربوية المشروعة والمناسبة لقدراته.

ففي هذا المضمون يرى الباحث أن الإمام ابن الجوزي كانت له الأسبقية في الإشارة إلى هذا المعنى مستخدماً مصطلح أدق وهو: (حسن الاختيار)، فيقول- رحمه الله تعالى-: "لكل شيء صناعة، وصناعة العقل حسن الاختيار" (ابن الجوزي، ١٤٢هـ، ١٤).

وحسن الاختيار من صفات النموذج الأول في التربية الذاتية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث "ماخير النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يأتهم فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، والله ما انتقم لنفسه في شيء يؤتى إليه قط حتى تنتهك حرمة الله فينتقم الله" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٨، ١٦٠).

والإمام ابن الجوزي جعل حسن الاختيار عند الصبيان دليلاً على إرہاصات التربية الذاتية، فيقول: "يتبين فهم الصبي وعلو همته وقصرها باختياراته لنفسه، فإن الصبيان تجتمع للعب، فيقول العالي الهمة: من يكون معي؟ ويقول القاصر الهمة: مع من أكون؟ ومتى فاقت الهمة، وعلت همة الصبي أثر العلم" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ ب، ٤٢).

وهنا إشارة لكل المربين إلى معرفة من يربون من خلال ملاحظة بعض السلوكيات القولية والفعلية التي تحصل بين الأقران أثناء لعبهم، ومن الممارسات السلوكيات التي تدل على إرہاصات التربية الذاتية: حسن الاختيار الذي جعله الإمام ابن الجوزي دليلاً على علو الهمة التي تقود صاحبها إلى اختيار طلب العلم وإثاره. ويدلل على ذلك، فينقل كلام عبد الملك بن مروان عن حسن الاختيار عند الصبيان، الذي قال فيه "نرمقهم، فإن سمعنا منهم من يقول في لعبه من يكون معي رأينا ذا همة وحنو صدق فيه، وإن سمعناه يقول مع من أكون كرہاها منه" (ابن الجوزي، دت، ب، ٩٩).

ومن بعض الأقول التي استخدم فيها الإمام ابن الجوزي المصطلحات السابقة (رياضة النفس، تهذيب النفس، مجاهدة النفس، محاسبة النفس، حسن الاختيار) استنبط الباحث أن التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي عبارة عن جهد تربوي مستمر يبذله الفرد في جميع مراحل العمر:

١- يقول ابن الجوزي: "فإذا عبر الصبي الخمس سنين، بان فهمه ونشاطه في الخير، وحسن اختياره لنفسه، واصلف نفسه عن الدنيا، أو عكس ذلك. مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صبيان وهم يلعبون، فنفرقوا من هيبته، ولم يبرح ابن الزبير، فقال له: ما لك لم تبرح؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ما الطريق ضيقة فأوسعها لك، ولا لي ذنب فأخافك، وقال الرشيد لولد وزيره وهو في دارهم: أيما أحسن، دارنا أو داركم؟ فقال: دارنا، قال: ولم؟ قال: لأنك فيها" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ب، ٤١)، فهنا تربية ذاتية في مراحل العمر المبكرة.

٢- يقول ابن الجوزي: "من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب، وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه الجهاد للنفس والهوى وغلبة الشيطان، وبصيانته يحصل القرب من الله تعالى، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، وبالصبر فيه على الزلل يثنى على الصابرين، كما أثنى الله عز وجل

على يوسف عليه الصلاة والسلام" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ب، ٤٥)، وهنا تربية ذاتية في مرحلة الشباب والمراهقة.

٣- يقول ابن الجوزي: " فإن تمت له الثمانون، فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله، وتهيئة زاده، وليجعل الاستغفار حليفه، والذكر أليفه، وليدقق في محاسبة النفس، وفي بذل العلم، أو مخالطة الخلق" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، أ، ٢٤٣)، وهنا تربية ذاتية في مراحل العمر المتأخرة.

إذا فالتربية الذاتية عبارة عن جهد تربوي مستمر يبذله الفرد في جميع مراحل العمر.

أما مفهوم التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي، كما استنبطه الباحث فهو: الجهد التربوي المستمر الذي يبذله الفرد في تربية نفسه بنفسه للارتقاء بها في جميع المجالات الحياتية المختلفة، وذلك بتطبيق الوسائل المشروعة التي أقرها الإسلام، للوصول إلى الغاية التي من أجلها أوجده الله عز وجل.

المحور الثاني: أسس التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي:

يقول ابن الجوزي: " الدنيا والشيطان خارجان عنك، والنفس عدو مباطن، ومن أدب الجهاد ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ﴾، إن مالت إلى الشهوات فاكبحها بلجام التقوى، وإن أعرضت عن الطاعات فسقتها بسوط المجاهدة، وإن استحلنت شراب التواني، واستحسننت ثوب البطالة فصح عليها بصوت العزم" (ابن الجوزي، دبت، أ، ٢٦)، فمن هذه العبارة استنبط الباحث أسس التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي وهي على النحو التالي:

١- تقوى الله سبحانه وتعالى: ومعناها كما تدل العبارة السابقة: منع النفس من المعاصي والشهوات.

٢- مجاهدة النفس: ومعناها كما تدل العبارة السابقة: إلزام النفس على الطاعات.

٣- العزم: ومعناها كما تدل العبارة السابقة: المداومة والاستمرار على الأعمال الصالحة.

وسيتناول الباحث فيما يأتي كل أساس على حدة.

الأساس الأول: تقوى الله عز وجل كإحدى أسس التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي

فتقوى الله سبحانه وتعالى جامعة لكل أساليب التربية الذاتية، فقد وصفها الإمام ابن الجوزي بالدرع المكون من مجموعة من الحلق، وهذه الحلق هي أساليب التربية الذاتية، يقول- رحمه الله تعالى:- " التقوى درع، والدرع مجموع حلق، فغض البصر حلقة، وحبس اللسان حلقة، وعلى هذا سائر ما يتوقى، فإياك أن تترك خللاً في درعك" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ٢٧٢)، ولعل ما ذهب إليه الأهدل من وصف التقوى بالعقد الذي يجمع أساليب التربية الذاتية، يتوافق مع وصف الإمام ابن الجوزي السابق، يقول الأهدل: " أن تقوى الله هو عقد متفرقات جميع أساليب التربية الذاتية، وهي الرابطة أو الحلقة التي ينبغي أن يحيط بها العبد عند الهم بأي من تلك السلوك" (الأهدل، ١٤١٢هـ، ١٠٥).

والتقوى عرفها الكثير، اكتفى الباحث بذكر ما جاء في بعض كتابات الإمام ابن الجوزي، من ذلك قوله في تعريف التقوى: " اجتناب ما نهى الله عنه، ولم ينه عن شيء، ولا أمر به إلا وهو داخل تحت الطاقة" (ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ، ٣٣١)، ويقول- رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "

التقوى: اعتماد المتقي ما يحصل به الحيلولة بينه وبين ما يكرهه، فالمتقي: هو المحترز مما اتقاه" (ابن الجوزي، ١٤٠٤هـ، ٢١٩).

إذا فالمعنى العام للتقوى كما استنبطه الباحث من التعريفات السابقة هو تجنب الوقوع فيما يغضب الله عز وجل، أي أن تجعل بينك وبين عذاب الله عز وجل وقاية.

والإمام ابن الجوزي ذكر أن التقوى في القرآن الكريم على خمسة أوجه، هي:

١- التوحيد، واستدل بقوله سبحانه وتعالى ﴿وَلِلَّهِ مَكَانٌ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١]، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَمْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ [الحجرات: ٣].

٢- الإخلاص، واستدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْبًا اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، أي من إخلاص القلوب.

٣- العبادة، واستدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ (النحل: ٢)، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَوْمٌ فِرْعَوْنَ إِلَّا يَنْقُونَ﴾ [الشعراء: ١١].

٤- ترك المعصية، واستدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

٥- الخشية، واستدل بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]، وقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الشعراء: ١٠٦] (ابن الجوزي، ١٤٠٤هـ، ٢٢٠).

والتقوى من أولى أولويات طلب العلم عند الإمام ابن الجوزي، والأولويات كما حددها- رحمه الله تعالى- هي:

الأولى: تقوى الله، وهي أداء الفرائض واجتناب النواهي.

الثانية: الورع، وهو ترك المحرمات والشبهات الخفية.

الثالثة: الزهد وهو ترك ما ليس له ضرورة، ولا مصلحة فيه.

الرابعة: العبادة بالقلب والجوارح (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ١٧١).

ويظهر في هذه الأولويات أن أول مهمات طالب العلم عند الإمام ابن الجوزي للحصول على

العلم النافع هي تقوى الله سبحانه وتعالى، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ

وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهِ ﴿٢٨٢﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وعلى العكس فإن الذنوب والمعاصي من أضرارها حرمان العلم النافع، يقول- رحمه الله تعالى-: "من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فإنها ستحول وتخليه خاسراً" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٣٧).

ويؤكد الإمام ابن الجوزي أن العلم النافع وإن قل يؤدي إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، يقول: "وليعلم المؤمن أن الرئاسة على الحقيقة هي تقوى الله عز وجل، وقد قيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى: إن معروفاً الكرخي قليل العلم، فقال: وهل يراد العلم إلا لما وصل إليه معروف" (ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ١٣٢)، والمقصود أنه أنتفع بعلمه القليل، وعمل به، وأثمر تقوى الله سبحانه وتعالى.

ثم إن الإمام ابن الجوزي يوجه المربين والمعلمين إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، لينتفع الأبناء والطلاب من علمهم وتوجيهاتهم ونصائحهم، يقول- رحمه الله تعالى-: "أنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب، وقال بعض السلف: إن الموعدة إذا خرجت من قلب صادق وقعت في القلوب" (ابن الجوزي، ١٤٠٩هـ، ١٨٢).

ومن الآثار التربوية للتقوى على الفرد والمستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي ما يلي:

١- يتحقق في الفرد المتقي هدف التربية الإسلامية الأساسي وهو الإيمان الجازم بالله سبحانه وتعالى، وإخلاص الطاعة والعبادة له، يقول ابن الجوزي: "متى أردت أن تعرف عناية الله بعباده المؤمنين، بماذا انعم الله على أهل التقوى واليقين، فإتل أربع آيات من سورة البقرة لتعلم أن خيرة خلق الله من جميع العالمين أهل الإيمان واليقين والتقوى" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ٢١٠)، والملفت هنا أن الإمام ابن الجوزي لم يذكر الأربع الآيات الأولى من سورة البقرة، بل أحال القارئ إلى المصدر، وهذه الطريقة تسمى الاكتشاف، وهي من استراتيجيات التدريس الحديث، والتي تعتمد على استكشاف المتعلم للمادة العلمية بنفسه، ويقتصر دور المعلم على التوجيه والإرشاد (اللولو، ٢٠٠٦، ٥)، والأربع الآيات التي أشار إليها الإمام ابن الجوزي في

سورة البقرة هي: ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُقِيمُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [البقرة: ١-٤]، ففي هذه الآيات الكريمات تظهر الآثار التربوية الإيمانية والتعبدية للتقوى، من إيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وإنفاق مما رزقهم الله في طاعته، وإيمان بالقرآن الكريم، وبالكتب السماوية السابقة كالنوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب غير المحرفة، والعلم يقيناً أن اليوم الآخر واقع لا محالة، يقول السعدي في تفسير هذه الآيات الكريمات: "وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك" (السعدي، ١٤٢٠هـ، ٤٠).

٢- العفو والصفح، لأن المتقي يصبر على البلاء، ويرضى بقضاء الله وقدره، ويطبق أحكام القرآن الكريم وتعاليمه، يقول ابن الجوزي: "أن لأهل التقوى علامات يُعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، من صبر على البلاء، ورضي بقضاء الله، وشكر النعم، وتذللًا لحكم القرآن" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٣)، فالعفو والصفح من سمات المتقين، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَن

تَعَفَّوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، وفي هذا المعنى يقول ابن الجوزي مذكراً بجزء العفو والصفح: "ينبغي للمتقي أن يعلم أن الله عز وجل كافيه" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٥).

٣- المتقي لا يرأى، ولا يتعرض لما يؤدي دينه، يقول ابن الجوزي مخاطباً ابنه: "يا بني! ومتى صحت التقوى رأيت كل خير، والمتقي لا يرأى الخلق، ولا يتعرض لما يؤدي دينه، ومن حفظ حدود الله حفظه الله" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٥).

٤- المتقي لا يصر على الذنوب والمعاصي إذا وقع فيها، فهو غير معصوم من الخطايا، إلا من عصمه الله سبحانه وتعالى من الأنبياء والرسل، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] فالمتقي شديد الخوف إذا وقع في المعاصي، لأنه يعرف من يعصي، يقول ابن الجوزي: "تلمحه أنت يا صاحب التقوى! واعلم أن الحجة عليك أوفى من الحجة عليهم، لأنك تعرف من تعصي، وتعلم ما تأتي، بل انضر إلى تقليب القلوب بين إصبعين، فربما دارت الدائرة، فصرت المنقطع" (ابن الجوزي، ١٤١٢هـ، ٩٧).

٥- المتقي يدع مالا بأس به خشية الوقوع فيما فيه بأس، بمعنى أنه يبتعد عن الشهوات، يقول ابن الجوزي: "اعلموا أن في ملازمة التقوى مرارات، من فقد الأغراض والمشتهيات، غير أنها في ضرب المثل كالحمية تعقب صحة" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٢٩)، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: "لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ١، ١١).

٦- قوة النفس أمام الشهوات والمغريات، من الآثار التربوية للتقوى على الفرد، يقول ابن الجوزي: "يا معشر الشباب انتبهوا! القوى في التقوى" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٧٢)، ويقول: "من ركب الهوى هوى به، والنفس إذا استعملت التقوى تقوى به" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٥١٧)، ثم أنشد شعراً فقال:

"كيف الرحيل بلا زاد إلى وطن ما ينفع المرء فيه غير تقواه

من لم يكن زاده التقوى فليس له يوم القيامة عذر عند مولاه"

(ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٥٤١).

٧- الحكمة ونور البصيرة، من الآثار التربوية للتقوى على الفرد، بدليل قول الله سبحانه وتعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفَايَيْنَ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ

لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وعن هذا الأثر يقول ابن الجوزي: "ما دام المؤمن في نور التقوى فهو يبصر طريق الهدى، فإذا طبق ظلام الهوى عدم النور" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ٢٨٧).

٨- رقة القلب، وإنكساره مع الله سبحانه وتعالى، وطيبته وسلامته من الأحقاد مع الخلق، كلها من الآثار التربوية للتقوى على الفرد يقول ابن الجوزي: "من رزق قلباً طيباً، ولذة مناجاة، فليراع حاله، وليحترز من التغيير، وإنما تدوم له حاله بدوام التقوى" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤١٠).

٩- ومن الآثار أن المتقي يستشعر المسؤولية الاجتماعية، فهو يعلم عظم هذه المسؤولية والملقاة على عاتقه، والتي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ١، ١٢)، فالمتقي يقدم الدعم والنصيحة، ويتفاعل مع

الظروف المحيطة، ويساهم في ايجاد الحلول إن استطاع، يقول ابن الجوزي: "أهل التقوى يصوتون بالمنقطع، ويرشدون المتحير" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٤٨٨).

١٠- وأن الفرد المتقي قادر على التعامل مع كافة التحديات التي قد تواجهه في حياته، يقول ابن الجوزي: "لازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي المرض إلا العافية" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٣٧)، ومن أبرز الأسباب التي أهلت المتقي للوصول إلى هذه الدرجة، لأنه يعيش في استقرار نفسي في جميع أحواله، يقول ابن الجوزي: "السعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله عز وجل، فإنه إن استغنى زانه، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي جملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو سعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه، لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوقف على الحدود" (ابن الجوزي،

١٤٢٥هـ، ١٣٧)، وكل هذا يتلخص في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وهذه الآية الكريمة لها وقفة في حياة الإمام ابن الجوزي، يقول عنها: "ضاق بي أمر أوجب غماً لازماً دائماً، وأخذت أبالغ في الفكر في الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه، فما رأيت طريقاً للخلاص، فعرضت لي هذه الآية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، فعلمت أن التقوى سبب للمخرج من كل غم، فما كان إلا أن هممت بتحقيق التقوى، فوجدت المخرج" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٥)، ولذلك فهو يقول عن المتقي: "الغالب أنه لا تنزل به شدة إلا إذا انحرف عن جادة التقوى، فأما الملازم لطريق التقوى فلا آفة تطرقه، ولا بلية تنزل به، هذا هو الأغلب" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٤٣).

١١- وأن الفرد المتقي يطلب الزيادة في العلم، يقول ابن الجوزي: "إن تمام التقوى أن تبتغي إلى ما قد علمت منها علم ما لم تعلم، وإن النقص فيما قد علمت ترك ابتغاء الزيادة فيه، وإنما يحمل الرجل على ترك ابتغاء الزيادة قلة الانتفاع بما قد علم" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٥٩)، فمن جملة أسباب طلب المتقي الزيادة في العلم، أنه انتفع بعلمه السابق، وهنا لطيفة أشار إليها الإمام ابن الجوزي- رحمه الله تعالى- وهي أن من أسباب الانقطاع أو ترك طلب العلم، لأن الطالب لم ينتفع بعلمه السابق، فلو انتفع لطلب المزيد.

١٢- وأن المتقي إذا توفر عنده العلم المطلوب، والخبرة المناسبة، فهو مؤهل للقيادة والرئاسة والإدارة والولاية، يقول- رحمه الله تعالى-: "وليعلم المؤمن أن الرئاسة على الحقيقة هي تقوى الله عز وجل" (ابن الجوزي، ١٤٢٧هـ، ١٣٢)، مصداقاً لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَرْضٌ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

الأساس الثاني: مجاهدة النفس كإحدى أسس التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي

تعد مجاهدة النفس إحدى أسس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي، والمقصود بالمجاهدة في الشرع، كما قال الجرجاني هي: "محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها بما هو مطلوب في الشرع" (الجرجاني، ١٤٠٣هـ، ٢٠٤)، وقال المناوي: "وقيل هي حمل النفس على المشاق البدنية، ومخالفة الهوى، وقيل: هي بذل المستطاع في أمر المطاع" (المناوي، ١٤١٠هـ، ٢٩٧).

ومن التعريفين السابقين اتضح للباحث أن المعنى العام للمجاهدة هو: حمل النفس وإرغامها على طاعة الله عز وجل، وفي كتابات الإمام ابن الجوزي لم يقف الباحث - حسب جهده وإطلاعه - على تعريف صريح مباشر لمجاهدة النفس، ولكن أغلب أقواله التي جاءت في هذا المطلب اتفق مضمونها مع المعنى العام لمجاهدة النفس.

والإمام ابن الجوزي كان يدعو إلى مجاهدة النفس ويحث عليها؛ فيقول: "الحمد لله الذي جعل جهاد النفس والعدو فرضاً واجباً، ودينياً واصباً، فما من مسلم عاقل إلا وهو يعلم أن مجاهدة نفسه وعدوه حق واجب عليه" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ١٩٤).

ويرى - رحمه الله تعالى - أن مجاهدة النفس من أعظم الجهاد، فيقول: "تأملت جهاد النفس فرأيت أنه أعظم الجهاد" (ابن الجوزي، ١٤٣٥ هـ، ٨٠)، ويعلل لهذا الرأي بسببين:

السبب الأول: لأن مجاهدة النفس في حقيقته هو جهاد ضد شيء محبوب، بخلاف جهاد العدو فهو في الحقيقة جهاد ضد شيء مكروه، يقول - رحمه الله تعالى -: "إنما كان جهاد النفس أكبر من جهاد الأعداء، لأن النفس محبوبه، وما تدعو إليه محبوبه... بخلاف جهاد الكفار فإن الطباع تحمل على خصومة الأعداء" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٦٤).

السبب الثاني: لأن جهاد النفس هو الانطلاقة الأولى في جهاد الأعداء؛ يقول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وغالباً ما يكون بناء القاعدة هو أصعب مراحل البناء، يقول ابن الجوزي: "صعبت المجاهدة، إلا أنه من أنتبه لنفسه علم أنه في صف حرب، وأن عدوه لا يفتر عنه، فإن افتر في الظاهر، بطن له مكيدة، وأقام له كميناً" (ابن الجوزي، ١٤٢١ هـ، ١٥٦).

وعلى الرغم من حث الإمام ابن الجوزي إلى الأهتمام والعناية بمجاهدة النفس، كأساس بارز في التربية الذاتية، إلا أنه لفت الانتباه إلى تحقيق مبدأ التوازن في التعامل مع النفس، لا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا تقصير، يقول - رحمه الله تعالى -: "أعجب الأشياء مجاهدة النفس، لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة، فإن أقواماً أطلقوها فيما تحب، فأوقعتهم فيما كرهوا، وإن أقواماً بالغوا في خلافها، حتى منعوها حقها، وظلموها وأثر ظلمهم لها في تعبداتهم" (ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ، ١٥٦)، فليس المراد بمجاهدة النفس منعها من كل شيء ومخالفتها على الإطلاق، وليس المراد إعطاها كل شيء وإجابتها على الإطلاق، وإنما المراد الوسطية والاعتدال، يقول ابن الجوزي: "الحازم من تعلم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه، فيكون معها كالملك إذا مازح بعض جنده، فإنه لا ينبسط إليه الغلام، فإن انبسط ذكر هيبة المملكة، وكذلك المحقق، يعطيها حظها، ويستوفي منها ما عليها" (ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ، ١٥٧).

والوسطية والاعتدال التي تبنها الإمام ابن الجوزي في مجاهدة النفس منهج راسخ من مناهج التربية الإسلامية، فقد صح أن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما؛ قال: (قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار. قلت: إني أفعل ذلك. قال: فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفثت - أعيت وقلت - نفسك، وإن لنفسك حقاً ولأهلك حقاً، فصم وأفطر وقم ونم) (البخاري، ١٤٢٢ هـ، ج ٢، ٥٤)، ففي شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم (وإن لنفسك حقاً)، يقول العيني: "يعني ما يحتاج إليه من الضرورات البشرية، مما أباحه الله إلى الإنسان من الأكل والشرب والراحة، التي يقوم بها بدنه لتكون أعون على عبادة ربه" (العيني، دبت، ٢١٢)، لذا كان الإمام ابن الجوزي ينتقد بعض الذين بالغوا في المجاهدة، فيقول: "أن أقواماً بالغوا في الرياضة، فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة، أو فتح عليهم كلمات لطيفة

أثمرها الفكر والخلوة، فاعتقدوا أنهم قد وصلوا إلى المقصود... فتركوا الأعمال" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٣٢٥).

وكان الإمام ابن الجوزي كذلك ينتقد الذين قسوا على أنفسهم باسم المجاهدة، من ذلك ما ذكره في سير أحد الغلاة إلى مكة حافياً، فكانت الشوكة تدخل في رجله فيحكها في الأرض ولا يرفعها، وإذا ألمته عينه دلكتها بالمسح، فقال معلقاً: "ولعمري: إن هذا من أعظم الذنوب، وأقبح العيوب: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤٣)، ثم استطرد فقال: "فربما سمعه جاهل من التائبين فخرج، فمات في الطريق، فصار للقاتل نصيب من أثمه" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤٤)، وفي قصة الرجل الذي لم يجلس أربعين يوماً على الأرض إلا في التشهد، قال ابن الجوزي: "من سمع هذا من الجهال، يقول ما أحسن هذه المجاهدة، ولا يدري أن هذا الفعل لا يحل، لأنه حمل على النفس ما لا يجوز، ومنعها حقها من الراحة" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٣٣١).

وفي مجال مجاهدة النفس في التربية الذاتية التعبدية حدد الإمام ابن الجوزي القاعدة العامة؛ فقال: "إنما الطاعة الموافقة بامتنال الأمر، واجتناب النهي، هذا هو الأصل والقاعدة الكلية، فكم من متعبد بعيد لأنه مضيع الأصل، وهادم القواعد بمخالفة الأمر، وارتكاب النهي، وإنما المحقق من أمسك ذؤابة ميزان المحاسبة للنفس، فأدى ما عليه، واجتنب ما نهى عنه، فإن رزق زيادة تنفل، وإلا لم يضره" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٢١٣)، فوسطية الإسلام واعتداله تبدو واضحة على المنهج التربوي في مجاهدة النفس عند الإمام ابن الجوزي، يقول- رحمه الله تعالى-: "إنما المراد من الرياضة كف النفس عما يؤذي من جميع ذلك، وردها إلى الاعتدال" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٢٢٣)، ويقول في موضع آخر: "اعلم أن أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٧٢).

فالاعتدال هو القاعدة العامة لمجاهدة النفس عند الإمام ابن الجوزي، وهناك طريقتان لتحقيق هذه القاعدة؛ وهما: ١- التلطف مع النفس. ٢- الحزم مع النفس.

الطريقة الأولى: التلطف مع النفس؛ يقول ابن الجوزي: "إن النفس قد تمل من الدؤوب في الجد، وترتاح إلى بعض المباح من اللهو، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحنظلة: (ساعة وساعة)" (النيسابوي، دبت، ٩٤)، (ابن الجوزي، ١٤١٠هـ، ١٤)، والتسلية من صور التلطف مع النفس، فقد ذكر الإمام ابن الجوزي أنه مر به رجلان يحملان الثقل، وهما يتجاوبان بالإنشاد، فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر، ثم يعيده، أو يأتي بمثله من النشيد، فعلق ابن الجوزي على هذا المشهد، وقال: "أخذت من هذا إشارة عجيبة، ورأيت الإنسان قد حمل من التكليف أموراً صعبة، ومن أنقل ما حمل مدارة نفسه، وتكليفها الصبر بالتسلية والتلطف للنفس" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٣٥٦).

فالتلطف وإدخال السرور على النفس بالتسلية المباحة وسيلة تربوية إسلامية، لتحقيق التوازن النفسي للفرد، وطرد الملل والرتابة المتوقعة في جهاد النفس، وهي مطلب شرعي، تدل عليه سنة إظهار الفرح والسرور في العيدين، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها قالت: (دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جوار الأنصار تغنيان، بما تناولت الأنصار يوم بُعثت، قالت وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه؟ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا) (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٣٤٨).

ومن صور التربية الذاتية العملية في الحزم مع النفس والمستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي ما يلي:

١- الحزم مع النفس في تعجيل التوبة، وترك التسويف، يقول ابن الجوزي: "منهم من يقول سأتوب وأصلح... وليس من الحزم تعجيل الخطأ وانتظار الصواب" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٣٤٦).

٢- الحزم مع النفس بالتوقف برهة قبل الإقدام على أي عمل جديد، من أجل توقع العواقب المحتملة، والعمل بالاحتياط في كل حال، يقول ابن الجوزي: "العاقل من تأمل العواقب ورعاها، وصور كل ما يجوز أن يقع، فعمل بمقتضى الحزم" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤٦٧).

٣- الحزم مع النفس في ترك فضول الكلام وفضول الأفعال، كفضول الكلام عن الإنجازات الشخصية، والشه في ارتداء الملابس الفاخرة وغيرهما، ولا يمانع الإمام ابن الجوزي من إظهار أثر نعمة الله سبحانه وتعالى على الفرد، ولكن لا يكشف جملتها، والسبب أخذ الحيطة والحذر والوقاية من العين والحسد، يقول- رحمه الله تعالى-: "ينبغي لمن تظاهرت نعم الله- عز وجل- عليه، أن يظهر منها ما يبين أثرها، ولا يكشف جملتها، وهذا من أعظم لذات الدنيا، التي يأمر الحزم بتركها، فإن العين حق" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٤١).

٤- الحزم مع النفس في جمع المال وادخاره، وعدم الإسراف في إنفاقه، يقول ابن الجوزي: "ومن الحزم جمع المال وادخاره لعارض" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٤٦٥)، وفي هذا الموضوع وجه نصيحة لطلاب العلم، قال فيها: "فعليك- يا طالب العلم- بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس، فإنه يجمع لك دينك، فما رأينا في الأغلب منافقاً في التدين والتزهد والتخشع، ولا آفة طرأت على عالم، إلا بحب الدنيا، وغالب ذلك الفقر" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٦٧).

والسائر في طريق مجاهدة النفس لا بد له من قوتين، قوة العلم، وقوة العمل به:

القوة الأولى: قوة العلم، وحرية بالمرء- في نظر الإمام ابن الجوزي- أن يجاهد نفسه في تحصيل العلم، إذ هو من أفضل الوسائل المعينة على تصحيح مسار التربية الذاتية، يقول- رحمه الله تعالى-: "لا تنافي بين العلم والرياضة [التربية]، بل العلم يعلم كيفية الرياضة ويعين على تصحيحها" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٢٨٦)، وطلب العلم- في رأيه- من أشد أنواع جهاد النفس، فقد نقل- رحمه الله تعالى- أنه: "قال أبو يزيد: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئاً أشد عليّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لتعبت" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٣٠٤).

وفي العبارة السابقة لمحة من الإمام ابن الجوزي وهي: أن مما يعين على مجاهدة النفس في طلب العلم هو طلبه على يد أكثر من عالم، وهذا ما كان عليه- رحمه الله تعالى- فقد تتلمذ على كثير من العلماء والمشايخ، وصنف فيهم كتاباً سماه (مشيخة ابن الجوزي) ذكر منهم سبعة وثمانين شيخاً، وبعد أن انتهى من ذكرهم، قال: "وقد سمعت من جماعة غيرهم، ولي إجازات من خلق يطول ذكرهم" (ابن الجوزي، ٢٠٠٦، ١٩٨)، وهذه صورة من صور مجاهدة الإمام ابن الجوزي في طلب العلم وتحصيله، وتوضح أكثر في قوله: "ولقد كنت أدور على المشايخ لسماع الحديث، فينقطع نفسي من العدو لئلا أسبق" (ابن الجوزي، ١٤١٢هـ، ٣٧)، فطريق العلم عند الإمام ابن الجوزي ليس ممهداً بالورود بل لا بد من صعوبات وعقبات تحتاج إلى مجاهدة للوصول إلى حلاوته، يقول واصفاً بعض حاله: "كنت في حلاوة طلبتي للعلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٢٤٨).

والعلم هو الطريق السليم لعبادة الله سبحانه وتعالى على بصيره، يقول ابن الجوزي: "فكم من متعبد يبالغ في كثرة الصلاة والصوم، ولا يعاني صلاح القلب، وقد يكون عنده الكبر والرياء

والنفاق والجهل بالعلم ولا يحس بذلك... وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة [التربية] بالعلم ليقع التهذيب بإصلاح دائه، وإنما تنفع العبادة وتظهر آثارها وتبين لذاتها مع إصلاح أمراض القلب" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ٢٠٨)، فأشار- رحمه الله تعالى- إلى أهمية مجاهدة النفس في طلب العلم لجني آثار العبادة، ومن آثار العبادة حصول التربية الذاتية التي يقع بها إصلاح أمراض القلوب كالكبر والرياء والنفاق والجهل وغيرها من الآفات.

القوة الثانية: والأكثر تأثيراً في مجاهدة النفس هي: العمل بمقتضى العلم، يقول ابن الجوزي: "وليس العلم بمجرد صورته هو النافع، بل معناه: وإنما ينال معناه من تعلمه للعمل به، فكلما دل على فضل، اجتهد في نياله، وكلما ناه عن نقص بالغ في مبادئه، فحينئذ يكشف العلم له سره، ويسهل عليه طريقه" (ابن الجوزي، ١٤٢٥ هـ، ١٧٢)، فطالب العلم الذي يخشى الله سبحانه وتعالى ويتقيه- عند الإمام ابن الجوزي- هو الذي يجاهد نفسه للعمل بكل علم يتعلمه، فإن كان أمراً التزم به، وإن كان نهياً امتنع عنه، يقول- رحمه الله تعالى-: "فإن الإنسان إذا فهم الكلمة، فينبغي أن يرتقي إلى العمل بها، إذ هي مرادة لغيرها".

ومن طرق التربية الذاتية للخلاص من الهوى المذموم والتي استتبطها الباحث من فكر الإمام ابن الجوزي ما يلي:

الطريقة الأولى: تمرين النفس: وهذا التمرين يكون تربوياً ذاتياً، لصناعة النفس القوية المسيطرة على هواها وتوجيهه الوجهة السليمة؛ يقول ابن الجوزي: "قد كان أهل الحزم يعودون أنفسهم مخالفة هواها وإن كان مباحاً ليقع التمرين للنفس" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٥٤)، ويقول- رحمه الله تعالى- "إذا عرف العاقل أن الهوى يصير غالباً وجب عليه أن يرفع كل حادثة إلى حاكم العقل، فإنه سيشير عليه بالنظر في المصالح الآجلة، ويأمره عند وقوع الشبهة باستعمال الأحوط في كف الهوى، إلى أن يتيقن السلامة من الشر في العاقبة، وينبغي للعاقل أن يتمرن على دفع الهوى" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٣٦).

الطريقة الثانية: التدرج: والتدرج يكون في التربية الغيرية (أي في تربية الآخرين)، ويكون في التربية الذاتية (أي في تربية النفس بالنفس)، والتركيز هنا على تربية النفس بالنفس، وهو واضح في جواب ابن الجوزي لمن سأل، وكيف نتخلص من الهوى؟ فقال: "بالعزم القوي في هجران ما يؤذي، والتدرج في ترك ما لا يؤمن أذاه" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٣٧).

ومنهج التدرج في مجاهدة النفس جعله الإمام ابن الجوزي علاجاً لمدمني الهوى الذين وصفهم بقوله: "وليعلم العاقل أن مدمني الشهوات يصيرون إلى حاجة لا يلتذونها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها، لأنها صارت عندهم كالعيش الاضطراري" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٣٦). وتظهر هنا واقعية الإمام ابن الجوزي- رحمه الله تعالى- في اختيار منهج التدرج في مجاهدة النفس لمدمني الهوى، يقول الدويش: "الواقعية والتدرج، والشعور بأن النقلة لا يمكن أن تتم في لحظات، كل ذلك يقوم بدوره في ضبط النفس لتتجنب القفزات المحطمة، وهو منهج يجب أن نمارسه في تربيتنا لأنفسنا" (الدويش، ١٤٣٢ هـ، ٨٥).

والتدرج منهج تربوي إسلامي، ولا أدل على ذلك من التدرج في تحريم الخمر؛ يقول مرسي: "إن هدف التربية الإسلامية بلوغ الكمال الإنساني بالتدرج، وهذا التدرج صفة مميزة للتربية الإسلامية، وذلك أن التربية الأخلاقية تأتي للفرد بالتدرج" (مرسي، ١٤٢٥ هـ، ٧٦).

الطريقة الثالثة: التفكير الإيجابي: والتفكير أقره الإمام ابن الجوزي، ، يقول- رحمه الله تعالى- "ومما يهون الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة هواه" (ابن الجوزي،

١٤٠٦ هـ ب، ٨، ٩)، لذا كان التفكير في عواقب الهوى المذموم من طرق التربية الذاتية في مجاهدة النفس.

والعقل هو ما تميز به الإنسان عن بقية المخلوقات، لذلك لا بد من العمل بمقتضاه، يقول ابن الجوزي: "أنه لم يميز الأدمي بالعقل إلا ليعمل بمقتضاه، فاستحضر عقلك، وأعمل فكرك" (ابن الجوزي، ١٤١٢ هـ، ب، ٢٨)، وإذا لم يعمل الإنسان بمقتضى العقل استتارت عنه عواقب الميل إله الهوى، يقول- رحمه الله تعالى:- "إذا لم يستعمل القلب فيما خلق له من الفكر في اجتلاب المصالح في الدين والدنيا واجتناب المفسدات تعطل، فاستتارت جوهريته، فإذا أضيف إلى ذلك فعل ما يزيده ظلمة كشرب الخمر، وطول النوم، وكثرة الغفلة صار كالحديد يغشاه الصداً فيفسده" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٩٢).

والعقل لا يقبل الفراغ، فإذا لم يمتلئ بالأفكار الإيجابية، سيمتلئ بالأفكار السلبية؛ يقول ابن الجوزي: "أحل بها [أي النفس] في بيت الفكر ساعة وانظر هل هي معك أو عليك" (ابن الجوزي، ١٤٠٥ هـ، ١٦١)؛ والتفكير السلبي له تأثير بالغ على سلوك الفرد، وهو شرارة البداية إلى الهوى والشهوة، يقول ابن الجوزي: "إن الشهوة من نتاج الفكر" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٣٠)، ولعل الدراسة الميدانية التي قام بها فريق من الباحثين اليمنيين تقدم مثلاً لما للتفكير السلبي من دور في سلوك الفرد وتصرفاته، وهذه الدراسة استهدفت مجموعة من المعلمين في محافظات (عدن، تعز، إب، حضرموت، لحج) لمعرفة معوقات تعليم مهارات التفكير، فتوصلت إلى أن أول المعوقات هو التفكير السلبي عند المتعلم وتركيزه عليه، مما كان له الأثر البالغ في سلوك الفرد وعدم قابليته في تعلم مهارات التفكير الإيجابي (عبد الكبير، ١٤٢٩ هـ، ٦٧).

وهناك سبعة أشياء ذكرها الإمام ابن الجوزي تدعم - من وجهة نظر الباحث- التفكير المنطقي الإيجابي في مجاهدة النفس لتخليصها من الهوى المذموم، وتتم بصورة ذاتية، وهي:

- ١- التفكير في أن الإنسان لم يخلق موافقاً لهوه.
- ٢- التفكير في عواقب الهوى.
- ٣- أن يتفكر في فائدة مخالفة الهوى في الدنيا والآخرة.
- ٤- أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه، ثم يتصور الأذى الحاصل بعد اللذة.
- ٥- أن يتصور ذلك في حق غيره.
- ٦- أن يتفكر لماذا يطلب اللذات؟ والجواب ليس لشيء إنما إرضاء لهوى نفسه.
- ٧- أن يتدبر عز الغلبة وذل القهر، فما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة نفسه، وما من أحد غلبه هواه إلا وجد ذل نفسه.

الأساس الثالث: العزم كأحد أسس التربية الذاتية في فكر الإمام ابن الجوزي

يعد العزم أحد أسس التربية الذاتية المستنبطة في فكر الإمام ابن الجوزي، ومعنى العزم وضحه الإمام ابن الجوزي، فقال: "العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل" (ابن الجوزي، ١٤٢٢ هـ، ٣٤١)، ومن معانيه ما نقله- رحمه الله تعالى- عن ابن فارس، القائل: "العزم: عقد القلب على الشيء، ويريد أن يفعله" (ابن الجوزي، ١٤٢٢ هـ، ١٧٩)، ومن معاني العزم: الإرادة، يقول الجرجاني: "العزيمة في اللغة عبارة عن الإرادة المؤكدة" (الجرجاني، ١٤٠٣ هـ، ١٥٠)، وبالإرادة المؤكدة- كما ذكر ابن الجوزي- فضل الأدمي على البهائم (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٣٦).

والعزم من أول طرق علاج الباطن التي أقرها الإمام ابن الجوزي؛ في قوله: "أول علاج الباطن وأنجعه قطع الطمع باليأس، وقوة العزم على قهر الهوى، فمتى تردد الأمر عند النفس، أو ضعف العزم لم ينفع دواء أصلاً" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٥٣٧)، إذ فالمعنى العام للعزم

والمستنبط من التعريفات السابقة هو: طاقة تمكن الفرد من البدء والمداومة والاستمرارية في العمل الصالح.

والعزم يكون من الفرد على أفعاله الخاصة، إذا لا يمكن أن يعزم الفرد على أفعاله غيره، يقول العسكري: "إن العزم إرادة يقطع فيها المرید رويته في الإقدام على الفعل أو الإحجام عنه، ويختص بإرادة المرید لفعل نفسه، لأنه لا يجوز أن يعزم على فعل غيره" (العسكري، د.ت، ١٢٤)، لذا كان العزم من أسس التربية الذاتية، التي لا يمكن للفرد إقامة بنيانها بدونها، يقول ابن الجوزي: "لا يثبت البناء، وتحمل على عسكر الهوى، بلا عزم" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ٥٣)، فهو أساس التغيير إلى الأفضل، وبداية الانطلاق إلى تربية النفس بالنفس، ويعزز كونه أساس الانطلاق قول رمضان: "يُعد العزم لكونه من أرقى الأخلاق أساس الانطلاق والنشاط والاندفاع إلى تحقيق مصالح الدين والدنيا، وقاعدة الطموح والتطلع إلى الأعلى" (رمضان، ١٤٢٨ هـ، ١٥٦).

والقرآن الكريم أمتدح خلق العزم في أكثر من موضع، تبين من خلالها أهميته في حياة الفرد المسلم؛ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمُّ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وفي تفسير الآية الأخيرة؛ يقول ابن الجوزي: "كما صبر أولو العزم أي: ذوو الحزم والصبر" (ابن الجوزي، ١٤٢٢ هـ، ١١٤).

والعزم لا بد له من حزم، والمقصود بالعزم: القوة، وبالحزم: الحذر، لذلك قال ابن الجوزي: "قيل لا خير في عزم بغير حزم، والمعنى: أن القوة إذا لم يكن معها حذر أورطت صاحبه" (ابن الجوزي، ١٤٠٥ هـ، ٩٣)، فالحذر خطوة من خطوات الإقدام على العزم أقرها- رحمه الله تعالى- تتبين فيها موضوعيته في الطرح وقراءة الواقع.

والعزم يقوى ويضعف، يقول ابن الجوزي: "قوة العزم تضعف" (المدهش، ١٤٠٥ هـ، ١٩١)، ويقول في موضع آخر: "لم تنزل أكف العقل ضابطة أعنة النفوس، غير أن العزم يتقلب" (ابن الجوزي، ١٤٠٥ هـ، ١٨٦).

وهناك وسائل تربوية يمكن من خلالها التحول من ضعف العزم إلى قوته، ويمكن من خلالها اجتذاب هذه القوة وتفعيلها، يقول دبليو داير: "العزيمة قوة نعملها جميعاً بداخلنا، إن العزيمة مجال طاقة يتدفق بشكل غير مرئي على نحو يفوق نطاق أنماطنا اليومية الاعتيادية، إنها قوة كائنة وموجودة حتى قبل قدرتنا على التصور الفعلي، نحن نملك الوسيلة التي تقدر على اجتذاب هذه الطاقة وتفعيلها في حياتنا على نحو مثير وجديد" (دبليو داير، ٢٠٠٨، ٥١).

والباحث- وفي حدود جهده واطلاعه- جمع وسائل اجتذاب قوة وطاقة العزم من خلال أفكار الإمام ابن الجوزي، والتي جاءت متفرقة في بعض كتبه، ثم استنبط منها وسائل التربية الذاتية في تقوية خلق العزم، يقول- رحمه الله تعالى-: "خذوا دليل العزم إن لم تعرفوا سبيل الوصول"^(١)، وفيما يأتي بعضاً من هذه الوسائل.

الوسائل التربوية الذاتية لتقوية خلق العزم والمستتبطة من فكر الإمام ابن الجوزي:

١- التمسك بكتاب الله سبحانه وتعالى، وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؛ يقول ابن الجوزي: "من عزم على سلوك طريق الجنة، فليجعل دليله الكتاب والسنة" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ج ٩٢).

٢- دعاء الله سبحانه وتعالى، فقد ذكر الإمام ابن الجوزي أن الصحابي الجليل عبدالله بن جعفر رضي الله تعالى عنه هم بأمر يتطلب عزيمة قوية لإمضائه فسأل الله قوة العزيمة، وقال: "والله ليعلمن الله عز وجل، أني سأثله في هذا الأمر الصبر وحسن العزائم" (ابن الجوزي، ١٤١٨ هـ، ٥١٥).

ومما جاء في كتابات الإمام ابن الجوزي قوله: "أعوذ بالله من عزيمة تجلب شرأ" (ابن الجوزي، ١٤١٩ هـ، ١١)، فالدعاء من أعظم الوسائل التربوية المعينة على طلب العزيمة القوية في تحقيق الأهداف المشروعة، فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (إذا دعوتكم الله فاعزموا في الدعاء، ولا تقولن أحدكم إن شئت فأعطني، فإن الله لا مستكره له) (البخاري، ١٤٢٢ هـ، ج ٩، ١٣٧).

والدعاء في كل الأمور المشروعة عبادة وقربة أمر الله عز وجل بها عبادة، يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

٣- تعريض النفس لمثير من مثيرات العزم، كالمواعظ مثلاً، يقول ابن الجوزي: "كان القوم إذا سمعوا موعظة غرست نخل العزائم، ونبات قلبك عند المواعظ نبات الكشوئي" (ابن الجوزي، دت، ج ٥٥).

ثم حدد- رحمه الله تعالى- سبعة شروط لتقوية العزيمة عند حضور مجالس الذكر وتتم بصورة ذاتية، وهذه الشروط هي:

الأول: التفرغ من الشواغل وإنجازها إن أمكن قبل حضور المجلس.

الثاني: الحضور إلى المجلس بسكينة ووقار.

الثالث: قطع التفكير عن شواغل الدنيا وملهياتها.

الرابع: استشعار عظمة ما قد عزم عليه.

الخامس: التركيز في المجلس لتجويد العلم.

السادس: إطالة الجلوس ما أمكنة إطالته.

السابع: التحفظ بالحالة التي استفادها قلبه من العزم والرقعة، وذلك باجتنب الملهيات حين يقوم من المجلس إلى أن يعود إليه.

وختم هذه الشروط بقوله: "هذه الشرائط السبع من راعاها حق الرعاية، بلغ من مراد الذاكرين أقصى الغاية، من أحب شيئاً أكثر ذكره، ومن أجل أمراً أعظم قدره، ولا حبيب أحب من الله" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ١١٩).

٤- الاقتداء بأهل العزائم من الصالحين، يقول ابن الجوزي: "امتطوا عزم معشر رغبوا في أن يحلوا ساميات المعالي" (ابن الجوزي، ١٤٠٦ هـ، ٢٥)، فالتشبه بهم خطوة أولى في طريق العزيمة

الصادقة، قال الشاعر: "فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالكرام فلاح" (البتولي، ١٨٨٦م، ٩).

والنظر فيما يحققونه من إنجازات ونجاحات متوالية، دافع قوي للفرد إلى الاقتداء بعزائمهم، يقول ابن الجوزي: "يا جبان العزم: لو فتحت عين البصيرة، فرأيت بإنسان الفكر ما نالوا، لصاح لسان التلهف: ياليتني كنت معهم" (ابن الجوزي، دبت، ج، ٨٤)، والمقطع الأخير من هذه العبارة هو اقتباس من الآية الكريمة التي قال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿وَلَيْنَ أَصْبَكُمْ فَضَّلْ مِنْ اللَّهِ لِيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]، فأشار بهذا المعنى إلى أن ضعيف العزم عندما يرى الانجازات المتتالية لأهل العزائم القوية، يتمنى أن كانت عنده العزيمة القوية ليفوز معهم، ولكن! هيهات هيهات.

٥- تأمل العواقب الحسنة للهدف المشروع، يقول ابن الجوزي: "إذا نزلت بالحازم بلية فوجد مذاقها مرأ، أدار في الفكر حلو العواقب، فنسخ وسخ ما رسخ" (ابن الجوزي، دبت، ج، ٥٥).

والنظر في مآلات الأفعال الحميدة يقوي العزم على تحقيقها، وبالتالي يقوى الفرد في جمع الوسائل المعينة على ذلك، يقول بكار: "علينا أن نشجع أنفسنا على تخيل ما يمكن أن يحدث من الخير والنجاح، لننطلق بعد ذلك إلى بحث السبل التي تقربنا مما تخيلناه، وتحويله إلى ما يشبه الحقيقة" (بكار، ١٤٣١هـ، ٦٩)، والنظر فيما تؤول إليه الأفعال قاعدة معتبرة في الفقه الإسلامي، يقول الشاطبي في القاعدة الفقهية العاشرة: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعاً" (الشاطبي، ١٤١٧هـ، ١٧٧).

فعلى المجتهد التأمل في عواقب الصبر على تربية النفس التربية الذاتية الإسلامية، ولا أفضل من التفكير والنظر في مآل المؤمنين في الآخرة، وما أعده الله لهم من نعيم في الجنة، عندها حتماً سيقوى عزم من كان له قلباً نقياً طاهراً في تحقيق الإيمان بالله سبحانه وتعالى ظاهراً وباطناً، بالقلوب والجوارح؛ يقول ابن الجوزي: "إنما تقطع مراحل الجد بالعزم والصبر ونظر اللبيب المجد إلى آخر الأمر" (ابن الجوزي، ١٤١٩هـ، ب، ٢٤٩)، ويقول: "فيا خاطباً حور الجنة، وهو لا يملك فلساً من عزيمة أفتح عين الفكر في ضوء الصبر، لعلك تبصر مواقع خطابك [خطاك]، فإن رأيت تثبيطاً من الباطن فاستغث بعون اللطيف، وتنبه في الأسحار، لعلك تتلمح ركب الأرباح" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٣٣٠).

٦- تدريب النفس على العزم، وذلك بتجربته وممارسته في حالات معينة، يقول ابن الجوزي: "ينبغي للعاقل ألا يقدم على العزائم حتى يزن نفسه: هل يطيقها؟ ويجرب نفسه في ركوب بعضها" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، أ، ١٨٧)، والتجربة والممارسة من أفضل أساليب اكتشاف الذات والقدرات.

مجالات التربية الذاتية التي يستلزم فيها ضرورة استحضار قوة العزم والمستتبطة من فكر الإمام ابن الجوزي:

العزم يكون في جميع المجالات التي يقصدها الفرد؛ يقول ابن الجوزي: "من عزم على أمر هياً آتاه" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ب، ١٩٩)، ولكن هناك مجالات يستلزم فيها ضرورة استحضار قوة العزم على إمضاءها، ومن هذه المجالات ما يلي:

١- الجهاد في سبيل الله:

فاستحضار العزم القوي عند الإقدام على جهاد الأعداء ضرورة ملحة، وهو من نعم الله سبحانه وتعالى التي أمتن بها على عباده المؤمنين، يقول ابن الجوزي: "الحمد لله الذي حرك ضروب العزائم في أرض المجاهدة" (ابن الجوزي، دت، د، ٨٣).

ودلل- رحمه الله تعالى- على ضرورة استحضار قوة العزم في الجهاد فنقل حال محمد السمين في أحد المعارك، والتي أشد فيها خوف المسلمين من كثرة الروم، فأصاب السمين ما أصاب المسلمين من هلع وخوف، فجعل يوبخ نفسه ويلومها على اضطرابها، ثم نزل النهر فاغتسل واستحضر قوة العزيمة، يقول عن حاله: "فخرجت بقوة تلك العزيمة، ولبست ثيابي، وأخذت سلاحي، ودنوت من الصفوف، وحملت بقوة تلك العزيمة حملة وأنا لا أدري كيف أنا، فخرقت صفوف المسلمين و صفوف الروم حتى صرت من ورائهم، ثم كبرت تكبيرة، فسمع الروم تكبيراً، فظنوا أن كميناً قد خرج عليهم من ورائهم فولوا، وحمل عليهم المسلمون، فقتل من الروم بسبب تكبيرتي تلك نحو أربعة آلاف، وجعل الله عز وجل ذلك سبباً للفتح والنصر" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٥٠٩).

وفي موضع آخر، يقول ابن الجوزي مستخدماً أسلوب الوصف لقوة العزم في الجهاد: "ساروا إلى الجهاد على خيل العزيمة، فإذا وقعتهم للعدو كاسرة" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، أ، ١١٦)، ويقول - في موضع آخر- بأسلوب الوعظ: "أخواني كل مقاتل ليس معه سلاح عزم مغلوب"، وفي هذين الأسلوبين يحث- رحمه الله تعالى- على استحضار قوة العزم عند جهاد الأعداء في سبيل الله سبحانه تعالى (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٥٢٢).

٢- ومن المجالات التي تحتاج إلى استحضار قوة العزم: الصبر على أذى الخلق، ففي تفسير قول الله تعالى: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧]، يقول ابن الجوزي: "أنه أمر بالصبر، سلوكاً لطريق أولى العزم" (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٥٦٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، يقول ابن الجوزي: "هذا أمر بالعزيمة" (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٥٩٥).

٣- ترك الآثام والمنكرات والشهوات المذمومة؛ يقول ابن الجوزي: "يا مقهور بغلبة النفس، صل عليها بسوط العزم، فإنها إن علمت جدك استأسرت لك" (المدهش، ١٤٠٥هـ، ١٦٠)، ويقول - رحمه الله تعالى- في موضع آخر: "لو نهضت بقوة العزم لانخرقت شبكة الهوى" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢١٨)، ويقول- رحمه الله تعالى-: "اقطع أمل الهوى بقهر العزم" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ٤٩١).

فالعزم بالابتعاد وعدم الاقتراب من الآثام والمنكرات والشهوات المحرمة شرعاً، أمر لازم في تهذيب النفس وتربيتها التربوية الذاتية، يقول ابن الجوزي: " قيل لبعض أهل الرياضة [أي التربية] كيف غلبت نفسك؟ [أي ذاتياً]، فقال: قمت في صف حربها بسلاح... العزم [أي القوة] بصارم الحزم" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٣٠).

٤- الحج، والإمام ابن الجوزي ألف كتاباً سماه (مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن)، تحدث فيه عن ضرورة استحضار قوة العزم لقاصد الحج، وبالذات حج الفريضة، يقول: "إني كنت أتوق إلى مكة قبل الحج، فداويت هذا الداء بالقصد، فزاد الشوق بعد الرجوع على الحد، وعلمت أن كثرة التردد لا تزيد إلا شوقاً" (ابن الجوزي، ١٤١٥هـ، ٥٦)، وهنا لطيفة جميلة أشار إليها- رحمه الله تعالى- ويمكن أن تعين الفرد المسلم على تربية نفسه التربوية الذاتية؛ وهي: أن كثرة التردد على زيارة المسجد الحرام تزيد الشوق أكثر إلى هذه الأماكن الطاهرة، فسبحان الله!.

وتتأكد ضرورة استحضار قوة العزم على الحج في موضعين:

الموضع الأول: استحضار قوة العزم في البدن، فالحج كما هو معلوم يحتاج إلى جهد بدني عند تأدية المناسك في سفر وطواف وسعي وغيرها من الأعمال البدنية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

الموضع الثاني: استحضار قوة العزم في القلوب، من سكينه وندم وتذلل وانكسار بين يدي الله عز وجل، يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الحج: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما دفع من عرفات قال: (أيها الناس، السكينة السكينة) (النيسابوري، دت، ج ٤، ٣٩).

والإمام ابن الجوزي في استحضار قوة العزم في هذين الموضعين؛ يقول: "كما أن للأبدان حجاً، فللقلوب حج، فإنها تنهض بأقوام العزائم" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٤٠).

٥- التوبة، فالنفس البشرية معرضة لارتكاب المعاصي والأخطاء والهفوات، لذا كان لزاماً على الفرد المسلم استحضار قوة العزم على التوبة قوياً وفعالاً؛ يقول ابن الجوزي: "يا هذا قولك: أنا تائب من غير عزم، نفخ في غير ضرم" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٤١).

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحریم: ٨]، فالخطاب في هذه الآية موجه إلى المؤمنين، وهذا دليل على أن الإنسان معرض للغفلة والوقوع في المعاصي؛ لذا كان تعجيل التوبة بعد الذنب أمر واجب على كل مؤمن، ولا شك أن مغريات الحياة والتسويق من موانع تعجيل التوبة، والحرب قائمة بينهما في قلب المسلم، ومن أجل ذلك احتاجت التوبة إلى تجهيزها بجيش العزم القوي لإمضائها، يقول ابن الجوزي "يا هذا عقلك يحثك على التوبة، وهو كيمنعك، والحرب بينهما، فلو جهزت جيش عزم فر العدو" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٣٥٤)، كذلك استخدم- رحمه الله تعالى- أسلوب التشبيه، فشب التوبة بالعشبة الطيبة التي تحتاج إلى تسخين شديد لينتفع بها المريض، ووعاء تسخين هذا العشبة هو العزم القوي، ونار التسخين هو الندم على ما فات، يقول- رحمه الله تعالى-: "أجمع عقاقير التوبة في بوتقة العزم، وأوقد تحتها نار الأسى على ما سلف" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٠٤).

والمقصود بالأسى في العبارة السابقة هو الندم، والندم على ما فات شرط من شروط قبول التوبة، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الندم توبة) (ابن حبان، ١٤١٤هـ، ج ٢، ٣٧٩).

٦- قيام الليل؛ يقول ابن الجوزي: "حادي العزم في إنشاده: يا رجال الليل جدوا" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٤٦٢).

٧- الاستغفار، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]، ذكر ابن الجوزي في تفسير هذه الآية أن فيها عزم على الاستغفار (ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، ٤٦٦).

وتتأكد ضرورة استحضر قوة العزم على الاستغفار عند الإمام ابن الجوزي في موضعين؛ هما:

الموضع الأول: قوة العزم على الاستغفار بعد الذنب (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، أ، ١٩٣)، وهذا يتوافق مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَنْ يَكُفِرَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الموضع الثاني: قوة العزم على الاستغفار وقت السحر (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، أ، ٣٣٠)، وهذا يتوافق مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْمُصْبِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧].

٨- السفر في طلب العلم، الذي قال عنه ابن الجوزي: "مما يحتوي عليه هذا العزم [أي في طلب العلم]: السفر الذي كله مخاطرة بالنفس" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ١٨١).

٩- إنكار المنكر باليد لأصحاب السلطان، والرجل في ملكه؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى منك منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (النيسابوري، دت، ج ١، ٥٠)، علق ابن الجوزي على هذا الحديث فقال: "أن الاقتصار على الإنكار بالقلب رخصة، والإنكار باليد عزيمة، والإيمان مشتمل على العزيمة والرخصة، والرخص أضعف الأمرين فيه" (ابن الجوزي، دت، هـ، ١٧٤)، فظهر في تعليقه- رحمه الله تعالى- أن إنكار المنكر باليد من المواطن التي يحتاج فيها إلى استحضر قوة العزم.

١٠- ومن المجالات التي تحتاج إلى استحضر قوة العزم: ترك التداعي بعد التوكل على الله عز وجل؛ يقول ابن الجوزي: "لا يختلف العلماء أن التداعي مباح، وإنما رأى بعضهم أن العزيمة تركه" (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٢٥٥)، وقد استدلل بعض العلماء على ذلك بحديث المرأة السوداء التي جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت، ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعاء لها (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٧، ١١٦)، يقول ابن حجر في شرح هذا الحديث: "فيه دليل على جواز ترك التداعي، وفيه أن علاج الأمراض كلها بالدعاء، والالتجاء إلى الله أنجع وأنفع من العلاج بالعقاقير، وأن تأثير ذلك وانتفاع البدن منه أعظم من تأثير الأدوية البدنية، ولكن إنما ينجع بأمرين: أحدهما من جهة العليل وهو صدق القصد، والآخر من جهة المدوي وهو قوة توجيهه، وقوة قلبه بالتقوى والتوكل، والله أعلم" (ابن حجر، دت، ج ١٠، ١١٥).

موانع اكتساب خلق العزم عند الإمام ابن الجوزي:

١- فعل ما لا يحل مراراً من الذنوب والآثام، يقول ابن الجوزي: "يختل العزم بفعل ما لا يحل مراراً"، وهذا يتوافق مع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ فَلَا يَلْمِ اللَّهُ لَهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

٢- الفتور والكسل والخمول، وهي من موانع اكتساب خلق العزم؛ يقول ابن الجوزي: "فتورك عن السعي في طلب الفضائل دليل على تأنيث العزم" (ابن الجوزي، ١٤٠٦هـ، ٩٠)، ويقول شعراً:

كم ذا التلوم لا إقلاع يصحبه ولا عزيمة هذا العجز والكسل
وكم أردد أقوالاً ملفقة ما ينفق القول إن لم يصدق العمل

(ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ١٥٥).

ويقول مخاطباً مدمني الكسل الذين يصادرون جهود غيرهم لصالحهم بالمكر والخديعة: "إن لم تكن أسداً في العزم، ولا غزالاً في السبق، فلا تتغلب يا هذا، الجد جناح النجاة، وكسلك مزمن" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، ٥٢).

وللتنبية: فإن حب الراحة وفتور العزم حالة طبيعية تعرض لكل إنسان، والمنهج التربوي الإسلامي يتعامل مع النفس بكل هذه الاعتبارات، فالقلوب لها إقبال وإدبار، كما نقل ذلك ابن القيم عن الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، القائل: "إن لهذه القلوب إقبالا وإدباراً، فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإن أدبرت فالزموها الفرائض" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢٢٩)، والإمام ابن الجوزي في حالة إدبار النفس وفتور العزم، وضع حلاً تربوياً ذاتياً وسطاً، يقول- رحمه الله تعالى:- "برد العزيمة يجعل العامل عاطلاً، والنابه خاملاً، فإن لم يكن بُد من الفتور عن طلب الخيرات، فاضعف عن السيئات ضعفك عن الحسنات" (ابن القيم، ١٤١٦هـ، ج ٣، ١٢٢)، والمعنى أن الإنسان إذا ضعف وكسل عن فعل الخيرات من النوافل، فليضعف كذلك عن فعل السيئات.

٣- التردد، والتردد من موانع تحصيل خلق العزم، يقول ابن الجوزي: "العزم الصادق حرام على المتردد" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ١٧٩)، بمعنى: أن المتردد محال أن يصل إلى خلق العزم الصادق، وهذا يتوافق مع قول الشاعر: "إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة فإن فساد الرأي أن تتردداً" (القيراوني، ١٤١٧، ج ١، ٢٠٢).

٤- تضييع الوقت في الحديث الفارغ، وهو من مشتتات العزم في رأي الإمام ابن الجوزي، يقول- رحمه الله تعالى:- "تضييع الأوقات في الحديث الفارغ، فما يرجع المرید عن ذلك الوطن، إلا وقد اكتسب ظلمة في القلب وشتاتاً في العزم، وغفلة عن ذكر الآخرة" (ابن الجوزي، ١٤٢٥هـ، أ، ٣٧٠).

٥- التقليد الأعمى (الإمعة)، وهذه الصفة من موانع اكتساب خلق العزم، ومعناه كما يقول الحميري: "الإمعة: الذي لا رأي له" (الحميري، ١٤٢٠هـ، ٣٢٢)، وفي الحديث، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا) (الترمذي، ٢٠٠٧، ج ٤، ٣٦٤)، علق ابن الجوزي، فقال: "في الحديث: ولا تكن إمعة، قال الليث: هو الذي يقول لكل أحد

أنا معك، وقال أبو عبيد: أصل الإمعة الرجل لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع كل أحد على رأيه" (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ب، ٤١).

وما من شك أن التعبير عن الرأي ووجهة النظر، في التربية الذاتية أمر مطلوب في الحوارات والنقاشات، على أن يكون هذا الرأي مبنياً على احترام آراء الآخرين، وعدم تعارضه مع تعاليم وأحكام الدين الإسلامي، وأن يكون الرأي قابل للتعديل والتطوير أو التغيير، حسب ما يتوصل إليه الإنسان من قناعات.

أما الإنسان الذي ليس له رأي مستقل (إمعة) ستمنعه هذه الصفة من اكتساب خلق العزم الذي هو أحد أسس التربية الذاتية.

المحول الثالث: التطبيقات التربوية لأسس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي داخل الأسرة المسلمة.

أولاً: التطبيقات التربوية لتأسيس تقوى الله عز وجل داخل الأسرة المسلمة:

التقوى وصية الله تعالى لخلقه أجمعين من الأولين والآخرين من عباده، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ۝﴾ [النساء: ١٣١]، والتقوى إحدى أسس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي، كما جاء في الفصل الثاني من هذه الرسالة، والتي اتضح في حينها أن المعنى العام للتقوى المستنبط من فكر الإمام ابن الجوزي، هو: الامتناع عن كل ما حرم الله عز وجل، وفيما يلي بعض التطبيقات التربوية التي تستطيع الأسرة من خلالها غرس تقوى الله عز وجل في نفوس أبنائها.

١- أن يحقق الوالدان تقوى الله عز وجل على نفسيهما.

فعلى الأبوين أن يكونا قدوة صالحة لأبنائهم، وذلك بتحقيق التقوى على نفسيهما، فالأبناء يحاكون ويقلدون ويفتدون بهم، بوعي أو بغير وعي، فتطبع في نفوسهم صورة الأبوين القولية والفعلية مدى الحياة، يقول الجندي: "تبدأ التربية الإسلامية في البيت عن طريق المحاكاة والقدوة والتلقين، ذلك أن الطفل ينشأ فيعمل ما يعمل أبواه، فإذا كانا يقيمان الصلاة، ويقرآن القرآن فعل مثلهما، وانطبعت في ذهنه تلك الصورة، وتأثر بها مدى الحياة" (الجندي، ١٩٧٥، ١٦٦)، والقدوة الصالحة من أفضل وسائل التربية، يقول مدكور: "القدوة هي أفضل وسائل التربية على الإطلاق، وأقربها إلى النجاح" (مدكور، ١٤١١هـ، ٤٢٩).

ولقد عرض القرآن الكريم نماذج للقدوة السيئة، في اقتداء الأبناء بالأباء، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝﴾ [البقرة: ١٧٠]، ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ عَمَلٍ شَرٍّ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٢٣].

والأطفال بالذات يأخذون بالتقليد والمحاكاة أكثر مما يأخذون بالنصح والإرشاد، فإن كان سلوك الأبوين سلوكاً صالحاً فاحتمالية صلاح الابن على درجة كبيرة بعد توفيق وهداية الله سبحانه وتعالى، وإن كان على العكس سلوكاً سيئاً فاحتمالية صلاح الابن على درجة أقل، يقول مدكور:

قدرة الطفل على المحاكاة الواعية وغير الواعية كبيرة جداً، فهو يلتقط بوعي وبغير وعي كل ما يراه أو يسمعه" (مدكور، ١٤١١هـ، ٤٣٠، ٤٣١).

إذاً فالقدوة الحسنة من أفضل الطرق التربوية، وأقربها للنجاح، وأكثرها فاعلية في حياة المربين، ولقد ذكر أبو دف أن علماء التربية جمعوا جملة من الموصفات والمعايير التي ينبغي أن تتوفر في المرابي القدوة، ثم قام بتلخيصها، فنقل الباحث بتصريف أبرزها، في الآتي:

- أ- أن يظهر الأبوان أمام الأبناء بأشرف أحوالهم.
- ب- أن يكف الأبوان عن صغار المعاصي وكبارها، فإن لم يكفها، فلا أقل من التستر صيانة للأبناء.
- ج- أن لا يكذب قول الأبوين فعلهما، فإذا خالف القول الفعل، سيكون انتفاع الأبناء من النصح والإرشاد بدرجة ضعيفة.
- د- أن يتحلى الأبوان بالأمانة والصدق في أداء الواجب (أبو دف، ٢٠٠٧، ١٣٢، ١٣٣).

ويرى الباحث أن هذه الموصفات والمعايير إذا انطبقت على الأبوين فسيكونا - بإذن الله تعالى- قدوة صالحة لأبنائهم، عندها على الأسرة أن تستثمر هذا الصلاح الذي أمتن الله عز وجل به عليها في توجيه أبنائها إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، وتأسيس التربية الذاتية في نفوسهم، لأن توجيههم سيكون له أبلغ الأثر - بإذن الله تعالى- مادام أن القدوة موجودة.

٢- تلقين وتكرار كلمة التوحيد على الأبناء عند نطقهم.

وذلك بأن يقول الوالدان للابن: يا بني قل لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتكررها عليه في كل وقت وحين، وشرحها له بالقدر الذي يستوعبه، وبيان أن الله سبحانه وتعالى مطلع عليه في كل أحواله، يسمعه ويراه، يقول ابن القيم: " فإذا كان وقت نطقهم، فليقلنا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده، وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم، ويسمع كلامهم، وهو معهم أينما كانوا" (ابن القيم، ١٣٩١هـ، ٢٣١).

وإذا صاحب التلقين التعويد والتكرار ستخترن كلمة التوحيد في نفسه، فإذا اختزنت في نفسه كان اكتساب خلق تقوى الله عز وجل أسرع وأيسر، لأن التلقين - كما أثبت علماء النفس - إذا صاحب التعويد والتكرار يكون اكتساب الخلق أسرع وأيسر، يقول عبد المعطي وزميلته: " إذا ما صاحب هذا التلقين لون إيجابي من التعويد أو التأديب ليستخدم بثبات، يصبح السلوك الخلقى اعتيادياً، أي عندما يفترن الثواب والاستحسان الاجتماعي، والثناء بالسلوك المرغوب منه اجتماعياً، يكون تعلم السلوك الأخلاقي أسرع وأيسر" (عبد المعطي، وآخرون، دت، ٣٧٧).

ويرى الباحث أن هذا التطبيق إذا استخدمته الأسرة مع أبنائها، سيكون بذرة صالحة لزراعة تقوى الله عز وجل في نفوسهم، وحصاده بإذن الله تعالى تربية ذاتية مستمرة.

٣- إقناع الأبناء بالأدلة العقلية على ضرورة تقوى الله عز وجل.

وهذا التطبيق يقدم بأسلوب الحوار في قالب حي مشاهد يراه الابن، مثلاً: يُقال للابن: انظر إلى يديك من خلقها؟ ومن جعلها تتحرك؟ وانظر إلى المفاصل فيها؟ لو جعلها الله بدون مفاصل، جرب كيف ستمشي؟ لو كانت أصابع اليد بدون مفاصل، جرب كيف ستأكل؟ كيف ستكتب؟ وكذلك السؤال عن الرأس، والعنق والرقبة، انظر إلى المرضى من حولك، وأنت صحيح معافى، من الذي عافاك من الأمراض والإعاقة؟ فما دام أن الله عز وجل أعطانا كل هذا لماذا نعصيه؟ ألا يستحق الشكر؟ ومن شكره أن ننقيه، ونطيعه في ما أمر وترك ما نهى عنه وزجر.

وأسلوب الإقناع بالأدلة العقلية استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم في تربيته لأصحابه، فيروى "إن فتى شاباً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه. مه. فقال: (ادنه)، فدنا منه قريباً. قال: فجلس قال: (أتحبه لأملك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأمهاتهم). قال: (أفتحبه لابنتك؟) قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك قال: (ولا الناس يحبونه لبناتهم). قال: (أفتحبه لأختك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لأخواتهم). قال: (أفتحبه لعمتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لعماتهم). قال: (أفتحبه لخالتك؟) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: (ولا الناس يحبونه لخالاتهم). قال: فوضع يده عليه وقال: (اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ج ٣٦، ٥٤٥).

٤ - تعليم الأبناء أنواع العبادات.

واجب على الأسرة المسلمة تعليم أبنائها أمور العبادة منذ الصغر، من أذكار الصباح، وأذكار المساء، وأذكار النوم، وأذكار الخروج من المنزل والدخول إليه، وأذكار دخول الخلاء والخروج منه، وآداب الأكل والشرب وغيرها، فإن سماع الأطفال المتكرر للأذكار، وأنواع العبادات من صلاة وصيام وزكاة وصلة رحم وغيرها، وممارسته لها عملياً، فيه ربط وثيق بتأسيس تقوى الله سبحانه وتعالى في نفوسهم.

فهذا عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنه يقول: "كنت غلاماً في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زلت تلك طعمتي بعد) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٧، ٦٨)، فانظر كيف عقها عمر بن أبي سلمة رضي الله تعالى عنه رغم صغر سنه، لذا على الأسرة ألا تحقر في تعليم أبنائها أي نوع من أنواع العبادات.

وعلى الأسرة كذلك أن تحرص على تحفيظ أبنائها القرآن الكريم، وإلحاقهم بحلقاته، ومتابعتهم في ذلك، وإذا بلغ الابن سبع سنين على الأسرة أن تعلمه الصلاة، وتذكره بها دائماً، وتأخذه إلى المساجد، وإلى زيارة الحرمين الشريفين، وإلى حضور المحاضرات واللقاءات الدعوية، وأداء العمرة والحج وغيرها.

وكذلك على الأسرة أن توسع نطاق إيمان الأبناء باليوم الآخر، فتحدثهم عن الموت، وعن القبر، وأשרات الساعة، وعن البعث والنشور، وعن الجنة والنار، ويستحب تحفيظهم متن في العقيدة.

وعلى الأسرة أن تحرص على تعليم الأبناء الدعاء، والتعلق بالله سبحانه وتعالى، وأنه هو المعطي، وهو المانع سبحانه وتعالى، ومن الصور التطبيقية لغرس قيمة الدعاء في نفوس الأبناء مثلاً: إذا طلب الطفل لعبة، يقول له الوالدان: ادع الله عز وجل في سجودك أن يعطيك إياها، وبعد ذلك يحضر الوالدان اللعبة. بعد أن يسألا الله الإعانة. ويقدمونها للابن بطريقة ذكية يربطونها بالدعاء، ويخبروه أن الله عز وجل لا يستجيب لمن يأكل الحرام، ويشرب الحرام، ويلبس الحرام، إشارة إلى حديث: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك) (النيسابوري، ج ٣، ٨٥)، فلعل هذا التوجيه يكون دافعاً له في تربية نفسه على التحري في طلب الحلال، ليطيب مطعمه، فتجاب بإذن الله تعالى دعوته، وفي مسألة الدعاء على الأسرة أن تبين للأبناء أن الله سبحانه وتعالى إما أن يستجيب الدعاء، أو يدفع به شراً، أو يدخره في الآخرة.

من خلال هذه العبادات وغيرها تؤسس الأسرة في نفوس الأبناء بإذن الله تعالى تقوى الله عز وجل.

٥- تربية الأبناء على مراقبة الله عز وجل.

إذا أرادت الأسرة أن تؤسس للتربية الذاتية، فلا بد أن تغرس في نفوس الأبناء مراقبة الله عز وجل في كل حال وفي كل زمان ومكان، ومن التطبيقات التربوية لغرس مراقبة الله عز وجل في نفوس الأبناء، ما يلي:

أ) اشعار الأبناء بأسماء الله عز وجل الحسنى الدالة على المراقبة: كالقريب، والسميع، والبصير، والشهيد، وشرحها لهم، وتقديمها في قالب وعظي حواري يتناسب مع المرحلة العمرية، مثلاً: يقول أحد الأبوين: لا تكذب يا بني فإن الله عز وجل بصير يرانا، وسميع يسمع كلامنا، ولا نريد أن نغضب الله تعالى.

ب) تذكر الأبناء أن الله عز وجل، وگل بهم ملائكة يكتبون أعمالهم، يقول الله عز وجل:

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُرُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

ج) استخدم أسلوب القصة في غرس مراقبة الله عز وجل في نفوس الأبناء، كقصة بائعة اللبن، وقصة راعي الغنم، فقصة بائعة اللبن ذكرها الأجرى، فذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وهو يعيش في المدينة، إذا اعياه التعب، وهو يتفقد أحوال الرعية، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة وابنتها يدور بينهما الحوار التالي:

الأم: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء.

البنت: يا اماه، وما علمت بما كان من عزم أمير المؤمنين اليوم؟

الأم: وما عزمه يا بنيه.

البنت: أنه أمر مناديه، فنادى أن لا يشاب اللبن.

الأم: يا ابنتاه قومي إلى اللبن، فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادي عمر.

البنت: يا اماه، والله ما كنت لأطيعه في الملاء، واعصيه في الخلا.

وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يسمع كل ذلك، فقال يا أسلم علم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح، قال: يا اسلم امضي إلى الموضع، فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل، فذهب اسلم إلى الموضع، فنظر فإذا بالجارية أيم لا بعل لها، وليس لهم رجل، فاخبر أسلم عمر رضي الله تعالى عنه، ثم دعا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أبناءه، فقال:

هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه.

قال ابنه عبد الله: أن لي زوجة.

وقال عبد الرحمن: أن لي زوجة.

وقال عاصم: لا زوجة لي، فزوجني.

فتزوجها عاصم، فولدت لعاصم بنتاً، وولدت البنت بنتاً، وولدت الابنة الخليفة عمر بن عبد العزيز (الأجرى، ٤٠٠هـ، ٤٨).

أما قصة راعي الغنم، فقد ذكرها الإمام ابن الجوزي، ومضمونها، أن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، خرج في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحاب، فوضعوا الطعام على السفرة، فمر بهم راعي:

فقال له ابن عمر: هلم يا راعي فاصب من هذه السفرة.

فقال الراعي: إني صائم.

فقال ابن عمر: في مثل هذا اليوم الشديد الحر، وأنت في هذه الشعاب، وبين الجبال.

فقال الراعي: أبادر أيامي الخالية.

فقال ابن عمر: هل لك أن تبيعنا شاه من غنمك.

فقال الراعي: أنها ليست لي إنها لمولاي.

فقال ابن عمر: قل لمولاك أكلها الذئب.

فمضى الراعي وهو رافع إصبعه إلى السماء، وهو يقول فأين الله؟

فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعي فأين الله.

فلما قدم إلى المدينة بعث إلى سيده، فاشترى منه الراعي والغنم، فأعتق الراعي، ووهب له الغنم (ابن الجوزي، ١٤٢١هـ، ٤٠٢).

فعل مثل هذه القصص، تخرس مراقبة الله عز وجل في نفوس الأبناء، وبالتالي فإن مراقبة الله هي بذرة صالحة لزراعة تقوى الله عز وجل، وحصاده بإذن الله تعالى تربية ذاتية مستمرة.

٦- تعميق حب النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الأبناء.

وقبل الانتقال إلى بعض التطبيقات التربوية التي تعين الأسرة على تعميق محبة النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس الأبناء، والاقتران به صلى الله عليه وسلم، لعل من المناسب ذكر القول الذي اتفق عليه مجموعة من التربويين حول أهمية هذا التطبيق، فقالوا: "من الملاحظ على النفس البشرية عامة، أنها في مراحل بنائها تتشبه بأقوى شخصية حولها، وذلك لتقدي بها، وتسير على هداها، وتقلدها في كل حركاتها، والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير، والرجل الكبير، إلى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، إذا هو القدوة الثابتة الراسخة التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله جمعين" (فيض الله، ١٤١٠هـ، ٩١).

ومن التطبيقات التربوية داخل الأسرة المسلمة لتعميق وترسيخ حب النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس أبنائها، ما يلي:

أ- عقد مجلس أسبوعي، تدارس في الأسرة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا بأس من الاستعانة ببعض كتب السيرة الموثوقة، ككتاب السيرة النبوية لابن هشام، وكتاب الرحيق المختوم، وأثناء القراءة والشرح يركز الوالدان على المعجزات التي أجرها الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم، وكذلك التركيز على أخلاقه من رحمة وعطف وتقوى وحسن عبادة، وخوف من الله عز وجل ومراقبته له في كل صغيرة وكبيرة، وحبه لله عز وجل، وحبه لأُمَّته، وكذلك تدارس الأسرة كيف كان الصحابة رضي الله تعالى عنهم يحبون النبي صلى الله عليه وسلم، ويضحون من أجله، وحكاية القصص في ذلك.

ب- تشويق الأبناء إلى حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وتشجيعهم على ذلك، وتحفيزهم بالجوائز العينية، فقد نقل الخطيب عن إبراهيم بن أدهم قوله: "قال لي أبي: يا بني اطلب

الحديث، فكلمنا سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم، فطلب الحديث على هذا" (الخطيب، دت، ٦٧)، فالأسرة لا تحتقر مثل هذه الحوافز والمكافآت البسيطة، فإن لها دور كبير في تربية الأبناء وتعليمهم.

ج- حث الأبناء على طلب الحديث، وحضور مجالسه، والسفر في طلبه من العلماء الراسخين إن لزم الأمر، فقد نقل الذهبي أن علي بن عاصم قال: "دفع إليّ أبي مائة درهم، وقال: اذهب فلا أرى لك وجهاً إلا بمائة ألف حديث" (الذهبي، ١٣٨٢هـ، ١٣٥).

فهذه التطبيقات التربوية داخل الأسرة، يتعرف الأبناء على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وسنته، من مصادرها الصحيحة، وإن كان في التطبيق الأخير مشقة وتعب على الأسرة، ولكن عليها أن تصبر مادام أن المطلوب عظيم، فهذا الخطيب ينقل عن سعيد بن المسيب قوله: "إن [إني] كنت لأسير الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد" (الخطيب، ١٣٩٥هـ، ١٢٧).

ثانياً: التطبيقات التربوية لتأسيس مجاهدة النفس داخل الأسرة المسلمة

تعد مجاهدة النفس إحدى أسس التربية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي، كما جاء في الفصل الثاني من هذه الرسالة، والتي اتضح في حينها أن المعنى العام للمجاهدة هو: حمل النفس وإرغامها على طاعة الله عز وجل، ومن هذا المعنى العام اقترح الباحث بعض التطبيقات التربوية التي تتم داخل الأسرة المسلمة، ويقوم بها الأبوان من أجل تأسيس مجاهدة النفس لدى الأبناء، والتطبيقات جاءت كما يلي:

١- إشعار الأبناء والتذكير الدائم لهم بالغاية التي من أجلها خلقوا.

فينبغي للوالدين إشعار الأبناء وتذكيرهم دائماً بالغاية التي من أجلها خلقوا، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فالغاية هي عبادة الله سبحانه وتعالى، والتقرب إليه، وهذه الغاية تحتاج في تحقيقها إلى مجاهدة للنفس.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن أستعانني لأعيزه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٨، ١٠٥)، ففي هذا الحديث ثمرة من ثمرات مجاهدة النفس في تحقيق الغاية التي من أجلها خلق الله الإنسان، فعلى الأسرة أن تبين لأبنائها هذه الثمرة العظيمة، وكيف أن العبد إذا تقرب إلى الله سبحانه وتعالى بسائر العبادات من فرائض ونوافل، فإن الله يحبه، فإن أحبه الله عز وجل دافع عنه، ومدته بالنصرة والتأييد.

فتذكير الأبوان الدائم للأبناء بمثل هذا الحافز، وغيرها من الحوافز التي تتحقق في عبادة الله عز وجل، من سعادة، وشعور بالأمن، وهداية، كما قال الله عز وجل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فبالتذكير الدائم بكل هذه الحوافز تستطيع الأسرة تأسيس مجاهدة النفس على طاعة الله عز وجل لدى أبنائها.

٢- تعويد الأبناء على محاسبة النفس.

فعلى الأسرة تعويد أبنائها على محاسبة النفس عند التفريط في العبادة، فهذا عبدالله بن عمر رضي الله تعالى عنهما- كما ورد عن البيهقي- "إذا فاتته صلاة في جماعة صلى إلى الصلاة الأخرى، فإذا فاتته العصر سبح إلى المغرب، ولقد فاتته صلاة العشاء الآخرة في جماعة، فصلى حتى طلع الفجر" (البيهقي، ١٤٢٣هـ، ج ٤، ٣٦٩).

ومن البرامج التربوية التطبيقية لتأسيس محاسبة النفس داخل الأسرة: أن يسأل ويناقش الأبوان الأبناء عن الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء في كل ليلة، عن التفريط وعن التأخير، وهل أداها الأبناء من الذكور في جماعة المسجد، وتُسجل كل هذه الملاحظات في سجل خاص اسمه (سجل الصلوات الخمس)، أو تسميه الأسرة بما يناسبها، ثم يقف الأبوان على أسباب التقصير، فإن كان المقصر ابن سبع سنين فإنه يُعلم، ويضرب إن كان ابن عشر سنين، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع) (أبو داود، دبت، ج ١، ١٣٣).

ويكون محتوى السجل على النحو التالي:

اسم الابن	صلاة الفجر	صلاة الظهر	صلاة العصر	صلاة المغرب	صلاة العشاء	أسباب التقصير إن وجدت

فيضع الوالدان علامة (✓) إذا أداها الابن، وعلامة (X) إذا كان مفراطاً أو مقصراً، ويكتب سبب التفريط أو التقصير إن وجد.

وفي هذا التطبيق أربع فوائد:

الأولى: فيه تعويد وتدريب للأبناء على المحاسبة اليومية للنفس، يقول الماوردي عن فوائد المحاسبة اليومية للنفس: "أن يتصفح في ليله ما صدر من أفعال نهاره، فإن الليل أخطر للخاطر، وأجمع للفكر، فإن كان محموداً أمضاه وأتبعه بما شاكله وضاهاه، وإن كان مذموماً استدركه إن أمكن وانتهى عن مثله في المستقبل" (الماوردي، ١٩٨٦م، ٣٥٦).

الثانية: فيه تربية للأبناء على محاسبة النفس في الدنيا، قبل أن يحاسبوا يوم القيامة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل) (الحاكم، ١٤١١هـ، ج ٤، ٢٨٠).

الثالثة: فيه مجاهدة للنفس على أداء العبادة في وقتها.

الرابعة: فيه تأسيس للتربية الذاتية لدى الأبناء.

٣- تربية الأبناء على مجاهدة النفس بأسلوب التعريف بأخبار المجتهدين في الطاعات.

فعلى الأسرة تعريف أبنائها بأخبار المجتهدين في الطاعات، ففي أخبارهم تحفيز على مجاهدة النفس للتشبه بهم، وخير أخبار المجتهدين أخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم، ففي

الحديث: (كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لما تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً، فلما كثر لحمه صلى جالساً، فإذا أراد أن يركع قام، فقرأ فرقع) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٦، ١٣٥)

ومن خير أخبار المجتهدين في الطاعات بعد النبي صلى الله عليه وسلم أخبار أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما جاء عند الإمام مالك: "كان يصلي من الليل ما شاء الله، حتى إذا كان من آخر الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم: الصلاة، الصلاة، ثم يتلو هذه الآية: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢] (الأصحبي، ١٤٢٥هـ، ج٢، ١٦٢)

والأم كذلك عليها دور كبير في تربية البنات على الحشمة والعفاف والحياء، فإذا استخدمت أسلوب التعريف بأخبار المجتهدين في التستر والعفاف، فإنها تؤسس لمجاهدة النفس على الاحتشام لدى البنات، ومن تلك الأخبار قصة " المرأة السوداء أتت النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك)، فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٧، ١١٦).

وأسلوب التربية من خلال التعريف بأخبار المجتهدين في الطاعات أسلوب تربوي نبوي، ففي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك من دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٤، ٢٠١).

وهناك من أخبار المعاصرين المجتهدين في الطاعات ما فيه حافز للأبناء على مجاهدة النفس، ومثل هؤلاء الصالحين لا تخلو منهم الكثير من المساجد والله الحمد، فعلى الأسرة لفت أنظار الأبناء إليهم بطريقة حياة مشاهدة، فمثلاً: يقول الأب: انظر يا بني إلى جارنا أبا محمد كيف يحافظ على صلاة الجماعة في المسجد رغم كبر سنه، واعتلال صحته، وانظر يا بني إلى أبناء أبا أحمد رغم صغر سنهم إلا أنهم من أول الداخلين إلى المسجد، وهكذا.

ففي مثل هذه المشاهدات الحية حافز للأبناء إلى مجاهدة النفس على الطاعات، والصبر عليها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وكذلك الأم لها دور هام في لفت أنظار البنات إلى الصالحات المحتشمتات في محيطهن وتضرب لهن الأمثلة الحية المشاهدة وكيف أن احتشام تلك المرأة زادها احتراماً ووقاراً بين النساء.

٥- تربية الأبناء على الوسطية والاعتدال في مجاهدة النفس.

الأمّة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى منهج الوسطية والاعتدال لتقديم الإسلام بصورته الحقيقية، ونحن المسلمون مسؤولون أمام الله عز وجل في تحقيق الوصف الذي وصفنا به

سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فيجب على كل مسؤول تحقيق هذا الوصف، فالفرد مسؤول عن نفسه، والأسرة مسؤولة عن أبنائها، والدولة مسؤولة عن رعاياها.

والحديث هنا عن الأسرة ودورها في غرس مجاهدة النفس على الوسطية والاعتدال لدى الأبناء من أجل التأسيس السليم للتربية الذاتية، ومن التطبيقات التربوية في ذلك، ما يلي:

أ- تحفيظ الأبناء سورة الفاتحة، وتفسيرها لهم، وبيان معانيها وأحكامها ودلالاتها ومقاصدها، يقول الطلابي: "إن سورة الفاتحة تقرر منهج الوسطية من أولها إلى آخرها، ووضعت القاعدة والمنطلق ورسمت منهج الوسطية، وحددت معالمه، ثم جاءت الآيات بعد ذلك مقررة لذلك وداعية له" (الطلابي، ١٤٢٢هـ، ٣٧٢).

فيتعليم سورة الفاتحة للأبناء، وتربيتهم على تمثلها قولاً وعملاً، تضع الأسرة حجر الأساس للوسطية والاعتدال في مجاهدة النفس لدى الأبناء.

ب- تربية الأبناء على الوسطية في التفكير، فالأمور ليست كلها سوداوية، إنما هناك الخير وهناك الشر، وكذلك الأحداث يا أبنائي، وكل ما حولنا، فيجب أن نتوسط ونعتدل في تفكيرنا، وعلينا الانفتاح على خيارات الآخرين، وإن كانوا من غير المسلمين، مالم يكن فيها محذور شرعي، فانظروا يا أبنائي إلى سماحة النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع غير المسلمين، فقد كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ففقد عند رأسه فقال له: (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: (الحمد لله الذي أنقذه من النار) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٢، ٩٤).

و على هذا النهج النبوي ينبغي للأسرة بلورة تفكير الأبناء في علاقاتهم الإنسانية مع غير المسلمين (الشمري، ١٤٢٨هـ).

ج- تربية الأبناء على الوسطية في العيش، ولكن يجب أولاً على الأبوين أن يحققوا الوسطية في العيش على نفسيهما حتى يتعود الأبناء على ذلك، فتصبح العادة سلوكياً.

ثم على الأبوين لفات أنظار الأبناء إلى الحياة المعيشية لخير البشر صلى الله عليه وسلم، وكيف أنه صلى الله عليه وسلم كما قالت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها: "كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم وحشوة من ليف" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٨، ٩٧)، وقولها رضي الله تعالى عنها: "كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، إنما هو التمر والماء، إلا أن نؤتي باللحيم" (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ٨، ٩٧)، واللحيم تصغير للحم دلالة على قلته.

فبالقدوة الصالحة من قبل الأبوين، وبأخبار خير البشر صلى الله عليه وسلم، تستطيع الأسرة التأسيس لمجاهدة النفس على الوسطية والاعتدال في العيش لدى الأبناء.

٦- تربية الأبناء على مجاهدة النفس على فعل الطاعات بأسلوب التبشير والتسهيل والتفائل.

فمن طرق تربية الأبناء على مجاهدة النفس على فعل الطاعات استخدم أسلوب التبشير والتسهيل والتيسير والتفائل، ونشره في محيط الأسرة قولاً وعملاً، امثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج ١، ٢٥)، وقوله صلى

الله عليه وسلم: (لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل، قال: كلمة طيبة) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٧، ١٣٩).

فمثلاً يقول الأبوان: يا بني أن حفظ القرآن الكريم سهلاً وميسراً، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وطلب العلم يا بني سهلاً وميسراً، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (... من سلك طريقاً يطلب به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ...) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج١، ٢٤).

ويبلغ الآباء الأبناء أن قيام الليل وسائر العبادات تصبح سهلة وميسرة، إذا جاهد الإنسان نفسه على أدائها، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وكذلك يبلغ الآباء الأبناء أن تصحيح النية والمقصد سهلاً وميسراً إذا جاهد الإنسان نفسه على ذلك، استنبط الباحث ذلك من قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: " يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال له عمر: " فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الآن يا عمر) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٨، ١٢٩).

أخيراً: بمثل هذه المعاني التي توضح سماحة الإسلام ويسره، وسهولة تطبيقه، تغرس الأسرة في نفوس أبنائها مجاهدة النفس على فعل الطاعات، وبالتالي هي تؤسس للتربية الذاتية المستمرة بإذن الله تعالى.

ثالثاً: التطبيقات التربوية لتأسيس خلق العزم داخل الأسرة المسلمة

يعد خلق العزم أحد أسس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي، كما جاء في الفصل الثاني من هذه الرسالة، والتي اتضح في حينها أن معناه العام هو: توطين النفس على الفعل، وذلك بالمدامة والاستمرار في العمل الصالح، وتعتبر المدامة والاستمرار في العمل الصالح من الأمور التي يحبها الله عز وجل، فعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله. قال: (أدومها وإن قل ...) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ج٨، ٩٨).

ومن أجل تأسيس التربية الذاتية المستمرة لدى الأبناء من خلال غرس العزم على المدامة والاستمرار في الأعمال الصالحة، يقترح الباحث: أن تأخذ الأسرة في كل أسبوع قيمة إسلامية، وتحث الأبناء على تطبيقها عملياً، فيكون جهد الوالدين في هذا الأسبوع مركز على هذه القيمة الإسلامية، من حث وترغيب وبيان فضل، ويرى الباحث عند تطبيق هذا البرنامج أن تستخدم الأسرة بطاقة تقويم الذات، المقدم من إدارة التربية والتعليم بالقصيم، بعنوان (برنامج التربية الذاتية) (إدارة التربية والتعليم بالقصيم، ١٤٣٣هـ)، وهي عبارة عن نماذج تربوية ذاتية يقوم الابن بنفسه في تطبيقها، وتعبئتها، ليكرس قيمة إسلامية حميدة في فترة زمنية محددة، وطريقة تنفيذه كالتالي:

١- يقوم الأبوان باختبار النموذج للقيمة الأسبوعية المحددة.

٢- يُعطى النموذج للأبناء، ثم يقوم الأبوان بشرح فقراته.

٣- التأكيد على التقيد به، والمصادقية فيه.

٤- التذكير بأن المستفيد منه في النهاية هو الابن.

- ٥- متابعة الابن بشكل عام أثناء التنفيذ.
- ٦- استلام النموذج في نهاية الأسبوع، وينظر فيه نظرة سريعة.
- ٧- يشاد بالإيجابيات لتعزيزها في فقرة أسبوعية بعنوان (مع التربية الذاتية)، وتعالج السلبيات، وقد يقتضي الأمر إعداد خطة معالجة من قبل الأبوين.
- والنماذج، هي على النحو الآتي:

ابني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على آداب المسجد

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								حضرت إلى المسجد بعد الأذان مباشرة
								ذكرت دعاء دخول المسجد والخروج منه
								أدركت تكبيرة الإحرام
								نصحت أقراني بعدم اللعب في المسجد
								أنكرت على من يعيب المسجد
								قرأت الاذكار بعد الصلاة
								خرجت من المسجد بطمأنينة وخشوع
								ذهبت إلى المسجد بسكينة وهدوء
								جلست في الصف الأول من المسجد
								صليت تحية المسجد قبل أن اجلس
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على شكر المعروف
والدعاء لفاعله

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								شكرتُ الذي قدم لي معرفاً
								دعوت لمن ساعدني
								ساعدت من ساعدني
								احببتُ من نصحتني
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

برنامج قراءة كتابفي سبعة أيام

اليوم	المقرر قراءته في اليوم	نفذ	لم ينفذ	ملاحظات
السبت				
الأحد				
الاثنين				
الثلاثاء				
الأربعاء				
الخميس				
الجمعة				

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ارجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

التربية الذاتية على تجنب الكتابة على الجدران

بيان العمل	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	الدرجة
أنكرت على الذي يكتب على الجدران								
أزلت الكتابة عن جدران المسجد في حي								
أخبرت أبي عن الذي يكتب على جدران منزلنا من أخوتي								
لم اكتب على الجدران								
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ارجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

التربية الذاتية على ترتيب الابن لليوم الدراسي

بيان العمل	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة	الدرجة
أديت الواجبات كلها								
رتبتُ كتبي قبل النوم								
وضعتُ كتبي في مكانها المخصص لها في البيت								
نظمتُ وقتي اليومي في المذاكرة وأداء الواجبات .								
ذاكرتُ دروسي اليومية								
لم أتأخر في تقديم واجباتي								
أعتمدُ على نفسي بعد الله في حل واجباتي								
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على العادات الصحيحة عند
القراءة أو الكتابة

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								وضعتُ الكتاب على بعد ٢٥ سم من عيني
								قرأتُ تحت إضاءة كافية
								جلستُ جلسة معتدلة عند القراءة أو الكتابة
								أرخيتُ عنقي وأملتُ رأسي عند القراءة أو الكتابة
								صرفتُ بصري عند الكتاب بين الفترة والأخرى لترتاح عيني
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على آداب الطريق

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أزلتُ الأذى عن الطريق
								رددتُ السلام على المار بالطريق
								ساعدتُ المار في الطريق
								لما رأيتُ منكراً انكرته وأمرتُ بالمعروف
								لم أستهزئ بالمارين في الطريق
								لم أعب في الشارع أو أودى جاري
								غضضتُ بصري عن النساء في الطريق
المجموع :								

ابني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على آداب الأكل

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								قلتُ (بسم الله) عند كل وجبة
								أكلتُ بيمينِي
								أكلتُ الوجبات الثلاث مع أسرتي
								حمدتُ الله بعد كل طعام
								أكلتُ من الجهة التي تليني
								أكلتُ في المكان المخصص
								لم أكل واقفاً
								لم أتكلم وفي فمي طعاماً
								غسلتُ يدي بعد الأكل
المجموع :								

ابني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

التربية الذاتية على المحافظة على الممتلكات

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أحافظ على نظافة الممتلكات العامة
								أجعل المكان أفضل من ذي قبل في الحديقة العامة بعد استعمالِي له.
								أنكرتُ على الذي يعبث في محتويات الممتلكات العامة
								أصلحتُ بعض محتويات الممتلكات العامة
								نصحتُ الذي يكتب على جدران الممتلكات العامة
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ارجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على احترام المعلم

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أقيتُ السلام على المعلم
								لم أرفع صوتي على المعلم
								دخلت الفصل قبل المعلم
								أتكلم مع المعلم بأدب
								لم أقاطع المعلم عندما يتكلم
								لم أعتب المعلم في مجالس الزملاء
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ارجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على الرفق بالحيوان

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أنكرت على من يؤذي الحيوانات
								أحسنْتُ إلى الحيوانات
								علمتُ الذي يريد أن يذبح الحيوان أن يحد الشفرة
								لم أضرب الحيوان بقوة
								لم أحرَم الحيوان من الأكل والشرب
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على احترام العمال

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								لم أظلم أي عامل
								أعطيتُ العامل أجره عندما انتهى من عمله
								أعطيتُ العامل بعض الكتب التي ترشده إلى الإسلام
								دعوتُ العامل غير المسلك إلى الإسلام
								أنا لا أسبئ إلى عامل البقالة وأتعامل معه بأخلاق عالية
								لم أكلف العامل أكثر من طاقته
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على حقوق الجار المجلس

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أحترم الجيران
								لم أؤذي جيرانني
								أمرتُ جاري بالمعروف
								أطعمتُ جاري من طعامي
								لم أتكلم في عرض جاري
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على احترام الكبير

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								وقرتُ الكبير
								قدمتُ الكبير عند الكلام
								ساعدتُ الكبير والكفيف
								سلمتُ على الكبير و قبلتُ رأسه
								لم أكل واشرب قبل الكبير
								لم أقاطع الكبير عندما يتكلم
								قدمتُ الكبير في الدخول والخروج
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على مراعاة الوالدين

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								حضرتُ إلى البيت مبكراً
								صليتُ الفجر بالمسجد بجانب والدي
								أذهب إلى الصلاة بصحبة والدي

								لا أذهب مع الغير إلا بإذن والدي
								إذا خرجت من البيت أبلغ الأهل بوقت عودتي
								أستشير والدي باختيار أصدقائي
								لم أخرج من البيت بدون إذن من والدي
المجموع :								

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أبني الحبيب

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (✗). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على ترك الغيبة والنميمة

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أنكرت على من اغتاب مسلم
								خرجتُ من المجلس الذي فيه غيبة
								لم أذكر عيباً في أخي أو زميلي
								أصلحتُ بين زملائي عند حصول النميمة
								طلبتُ الحل ممن اغتابته
								لم اغتاب مسلماً
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على الاهتمام بالأدوات المدرسية

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أرتب كتبي
								أحضرت أدوات الرياضيات
								أحل واجبي
								وضعت كتبي في المكان المخصص لها
								أهتم بكتبي ولم اتركها للأطفال
								لم أكتب على كتبي أو طاولتي أو جدار مدرستي
								حفظت المطلوب حفظه
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على بر الوالدين

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								استجبت لأمرها فوراً
								قبلت رؤوسهما في الصباح
								دعوت لهما
								ساعدت أمي في بعض أعمال البيت
								لم أغضبهما بأي قول أو فعل
								انتظرتهما عند تقديم الطعام أو الشراب
								استشرتهما، وأخذت برأيهما
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على احترام النظام في الطريق

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								سلمتُ على من قابلته
								انتبهت جيداً قبل عبور الطريق
								سرتُ في الشارع على المكان المخصص للمشاة
								لم أرم المهملات والفضلات في الطريق
								لم أتلف علامات الطريق
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على استعمال السواك

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								ذكرتُ أهل بيتي بالسواك
								غسلتُ السواك قبل استعماله
								أستاك عند كل صلاة ، وعند قراءة القرآن
								أستاك عند الوضوء
								أهديتُ سواكاً لزملائي
								أستاك عند القيام من النوم
								ذكرتُ زملائي بالسواك وفضله
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

التربية الذاتية على حلق القرآن الكريم في المسجد

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								أحرص على الحضور إلى الحلقة بانتظام
								احترمت مدرس الحلقة
								دعوتُ زملائي للالتحاق في الحلقة
								أراجع الحفظ قبل الذهاب إلى الحلقة
								حضرتُ متأخراً إلى الحلقة
								لم أحفظ المطلوب حفظه
								أحرص على تصحيح تلاوتي قبل الحفظ
المجموع :								

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

نموذج التربية الذاتية على احترام القرآن الكريم

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								وضعتُ المصحف في المكان المخصص
								نظفتُ المصاحف ورتبتها
								لا أضع الكتب فوق المصحف
								نصحتُ من لم يحترم المصحف
								لا أجلس على الحقيبة لأن فيها ذكر الله
المجموع :								

ملاحظة : الحقيبة وان لم يكن فيها مصحف فإنها لا تخلو عادة من كتب فيها آيات الله وذكره

أبني الحبيب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الإجابة عن الاستبانة التالية بوضع (✓) أو (X). أصلحك الله ووفقك.

التربية الذاتية على المحافظة على الأوراد اليومية

الدرجة	الجمعة	الخميس	الأربعاء	الثلاثاء	الاثنين	الأحد	السبت	بيان العمل
								قرأتُ ورد الصباح
								قرأتُ ورد المساء
								قرأتُ أذكار ما قبل النوم
								قرأتُ أذكار ما بعد الصلوات
								قرأتُ دعاء دخول المنزل والخروج منه
								قرأتُ دعاء دخول الخلاء والخروج منه
								قرأتُ أذكار الاستيقاظ من النوم
								قرأتُ دعاء دخول المسجد
								قرأتُ دعاء الخروج من المسجد
المجموع :								

ويرى الباحث أن يكون الدور التربوي الأسبوعي للأبوين عند تطبيق هذه البرامج، ما يلي:

١. بيان مكانة القيمة المعطاة في الإسلام من خلال الاستشهاد بأدلة القرآن الكريم، وأقوال وأفعال النبي صلى الله عليه وسلم.
٢. التذكير الدائم بها خلال أيام الأسبوع.
٣. إظهار الفرح والسعادة من قبل الوالدين عند قيام الأبناء بتطبيق فقرات القيمة الأسبوعية.
٤. بث روح الحماسة والنشاط والتنافس في نفوس الأبناء.
٥. تعزيز بعض القيم الإسلامية بالزيارات الميدانية المناسبة لنوعية القيمة، كزيارة الأسر الفقيرة، والجمعيات الخيرية، ودور الأيتام، وذوي الاحتياجات الخاصة، وكبار السن، وتقديم المساعدات العينية والمعنوية لهم، وكذلك عقد الرحلات التأملية التدبيرية في أرجاء الكون، وديار الأقوام السالفة، والرحلة لأداء العبادات والمناسك والزيارة، وزيارة الأقارب والأرحام، والمساهمة في المشاريع الخيرية والإغاثية، ونحوها.

ومن القيم الإسلامية أيضاً، والتي يقترح الباحث تطبيقها عملياً داخل الأسرة في كل أسبوع، والتي سيكون لها أثر كبير في تأسيس التربية الذاتية المستمرة في نفوس الأبناء ما يلي: الصلاة في وقتها، دوام ذكر الله عز وجل، الدعوة إلى الله عز وجل، طاعة ولي الأمر، الصلاة على النبي

صلى الله عليه وسلم، حب الوطن، الخلق الحسن، الوفاء بالعهد، الصدق، الأمانة، التعاطف، صلة الرحم، الإحسان للجار، البشاشة، محبة الخير للآخرين، دعاء المسلم لأخيه المسلم، التعاون على البر، القناعة، التسامح، إكرام الضيف، الاهتمام بأمر المسلمين، تقدير الكبير، التثبت، تقدير الوقت واحترامه، الشورى، كظم الغيظ، الرفق، العفو عن الناس والإحسان إليهم.

وتقوم الأسرة بكتابة هذا القيم- ولا بأس من إضافة غيرها- ويتم عرضها في مكان بارز من المنزل، لتنمية الشعور لدى الأبناء بأنهم مكفون، وعليهم حقوق وواجبات، ويجب على الأبوين أخذ رأي الأبناء في التطبيق العملي المناسب للقيمة.

ومن التنبيهات في هذا التطبيق، ما يلي:

١. أن أخذ قيمة معينة في أسبوع، ليس معناه هجر باقي القيم، فيجب على الأبوين لفت أنظار الأبناء إلى ذلك، ومن الممكن بث روح التحدي بينهم لتطبيق جميع القيم في أسبوع واحد.
 ٢. أن تضع الأسرة جوائز ومحفزات مادية ومعنوية عند تطبيق هذا البرنامج حسب قدرة الأسرة واستطاعتها.
 ٣. أنه عند الانتهاء من جميع القيم لا بأس من العودة إلى القيمة الأولى، ولا بأس من إضافة قيمة المرح واللعب والمزاح المنضبط، ليخرج الأبناء من الملل والسامة.
- فمن خلال هذا التطبيق تستطيع الأسرة تأسيس التربية الذاتية المستمرة في نفوس أبنائها، فكل قيمة من القيم تحقق هدفاً محدداً، وتكرس سلوكاً تربوياً ذاتياً جيداً في حياة الابن.

وفي نهاية هذا المحور ينبه الباحث أن هذه التطبيقات أمور مساعدة للأسرة المسلمة في تأسيس التربية الذاتية المستنبطة من فكر الإمام في نفوس أبنائها، إلا أن هناك تطبيقات تربوية أخرى يمكن للأسرة اكتسابها من مصادر متعددة، ومن ثم تنفيذها بما تراه مناسباً للوصول إلى الغاية المنشودة.

ملخص نتائج الدراسة:

١. أظهرت الدراسة أن أفكار الإمام ابن الجوزي كانت غنية في استنباط مادة متماسكة في التربية الذاتية يمكن الاستفادة منها في الواقع التربوي المعاصر.
٢. كشفت الدراسة أن الإمام ابن الجوزي لم يستخدم مصطلح التربية الذاتية في كتاباته- وهذا أمر طبيعي- لأن الكثير من المصطلحات التربوية الحديثة لم تكن متداولة في عصر الإمام ابن الجوزي، ولكن استخدم- رحمه الله تعالى- عدة مصطلحات اتفقت في مضامينها مع مضامين التعريف العلمي للتربية الذاتية عند بعض التربويين المعاصرين، والمصطلحات التي كان يستخدمها- رحمه الله تعالى- هي: مصطلح (رياضة النفس)، ومصطلح (تهذيب النفس)، ومصطلح (مجاهدة النفس)، ومصطلح (محاسبة النفس)، ومصطلح (حسن الاختيار).
٣. توصلت الدراسة إلى أن مفهوم التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي- حسب استنباط الباحث- هي: جهد تربوي مستمر يبذله الفرد في تربية نفسه بنفسه على فعل الخيرات وترك المنكرات، والمداومة والاستمرار عليها في جميع مراحل العمر.
٤. خلصت الدراسة إلى أن التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي- حسب استنباط الباحث- تقوم على ثلاث أسس، الأس الأولى: تقوى الله عز وجل، وذلك بالامتناع عن كل ما حرم الله عز وجل. الأس الثاني: مجاهدة النفس، وذلك بإلزام النفس وإرغامها على فعل الطاعات. الأس الثالث: العزم والإرادة، وذلك بتوطين النفس على المداومة والاستمرار على ترك المنكرات،

- وفعل الطاعات. ويمكن تلخيص أسس التربية الذاتية في ثلاث كلمات هي: امتناع وفعل و مداومة على الامتناع والفعل.
٥. بينت الدراسة - من وجهة نظر الباحث- أن من ضوابط التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي، ما يلي:
- أ) معرفة الفرد بخصائص نفسه وقدراته ومهاراته.
- ب) اختيار الفرد الوسيلة المشروعة المناسبة لقدراته ومهاراته.
- ج) المداومة والاستمرار في تربية النفس.
- د) الوسطية والاعتدال في التعامل مع النفس.
- هـ) الموازنة بين الحزم والتلطف في التعامل مع النفس.
- و) التأسيس العلمي الشرعي.
٦. أظهرت الدراسة أن التربية الذاتية عند الإمام ابن الجوزي شاملة لجميع المجالات التربوية المختلفة، وشاملة لاحتياجات الفرد المختلفة، الإيمانية والخلقية والاجتماعية والعلمية والصحية وغيرها، وأنها تربية راسخة الأصول تستمد وسائلها وقوتها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف.
٧. توصلت الدراسة إلى أن من أقوى العوامل في تعزيز التربية الذاتية، وتأسيسها في نفوس النشء، والمستنبطة من فكر الإمام ابن الجوزي- هي: الاستعانة بفطرتهم السليمة عند توجيههم وتربيتهم.
٨. توصلت الدراسة إلى أن الدور الرئيس للأسرة المسلمة في تطبيق التربية الذاتية هو: تأسيسها في نفوس الأبناء، وذلك من خلال غرس أسسها، والأسس هي: تقوى الله عز وجل، ومجاهدة النفس، والعزم والإرادة على المواصلة والاستمرار في ذلك.

التوصيات:

١. ضرورة الكشف عن التراث التربوي الإسلامي من خلال أفكار العلماء المسلمين الأوائل، والتعرف على إسهاماتهم التربوية، والاستفادة منها في مواجهة بعض المشكلات التربوية المعاصرة.
٢. وضع برنامج تثقيفي للأسرة في كيفية تأسيس التربية الذاتية المستمرة في نفوس أبنائها.
٣. تكثيف دورات تطوير واكتشاف الذات بين الطلاب داخل المدارس.
٤. توصي الدراسة وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية إلى تعميم (برنامج التربية الذاتية) الصادر من إدارة التربية والتعليم بالقصيم برقم (٣٣١٨١٦٩٧٨)، وتاريخ ١٤٣٣/١١/١٠هـ. على جميع مدارس المملكة.
٥. ضرورة تكاتف وتعاون جميع المؤسسات التربوية مع بعضها، في تقديم برامج تعزز التربية الذاتية لدى الفرد المسلم.

المقترحات:

١. فلسفة التربية الإسلامية من خلال فكر الإمام ابن الجوزي.
٢. المضامين التربوية من كتاب منهاج القاصدين ومفيد الصادقين للإمام ابن الجوزي.
٣. التربية السياسية للحاكم من كتاب الشفاء في مواضع الملوك والخلفاء للإمام ابن الجوزي.
٤. دور المدرسة في تأسيس التربية الذاتية المستمرة في نفوس الطلاب.

المراجع

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٢هـ). زاد المسير في علم التفسير. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٤هـ). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٦هـ). التبصرة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٦هـ). التذكرة في الوعظ. بيروت: دار المعرفة.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٦هـ). الطب الروحاني. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٩هـ). القصاص والمذكرين. ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٠هـ). أخبار الحمقى والمغفلين. بيروت: دار الفكر اللبناني.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٢هـ). لفظة الكبد إلى نصيحة الولد. الإسماعيلية: مكتبة الإمام البخاري.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢١هـ). صفة الصفوة. القاهرة: دار الحديث.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٣هـ). نواسخ القرآن. ط٢، المدينة المنورة: عمارة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ج١.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٧هـ). تعظيم الفتيا. ط٢، عمان: الدار الأثرية.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (د.ت). كشف المشكل من حديث الصحيحين. الرياض: دار الوطن، ج٣.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٥هـ). المدهش. ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٠٥هـ). غريب الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية، ج١.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٢هـ). لفظة الكبد إلى نصيحة الولد. الإسماعيلية: مكتبة الإمام البخاري. ص٣٧.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٥). مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن. الرياض: دار الراجحة، ج١.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٨). ذم الهوى. بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤١٩هـ). تنوير الغبش في فضل السودان والحبش. الرياض: دار الشريف.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢١هـ). تلبيس إبليس. بيروت: دار الفكر.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٥هـ). بحر الدموع. دار الفجر للتراث.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (١٤٢٥هـ). مواسم العمر. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (٢٠٠٦م). مشيخة ابن الجوزي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (د.ت). اللآلئ. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (د.ت، أ). اللطائف. القاهرة: مكتبة القاهرة.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (د.ت، ب). الأذكياء. دمشق: مكتبة الغزالي.
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي. (١٤٢٥هـ). صيد الخاطر. دمشق: دار القلم.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (١٣٩١هـ). تحفة المودود بأحكام المولود. دمشق: مكتبة دار البيان.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر (١٤١٦هـ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ج٣.
- ابن حبان، محمد بن حبان (١٤١٤هـ). صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة ج٢.
- ابن حجر، أحمد بن علي (د.ت). فتح الباري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة، ج١٠.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٢١هـ). مسند الإمام أحمد. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت). سنن أبي داود. بيروت: المكتبة العصرية.
- أبو دف، محمود خليل (٢٠٠٧م). مقدمة في التربية الإسلامية. ط٣، (د.م)، (د.ن).
- الأجري، محمد بن الحسين (١٤٠٠هـ). أخبار أبي حفص عمر بن عبدالعزيز. ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- إدارة التربية والتعليم بالقصيم. برنامج التربية الذاتية. تعميم رقم (٣٣١٨١٦٩٧٨)، تاريخ ١٤٣٣/١١/١٠هـ.
- الأصبحي، مالك بن أنس (١٤٢٥هـ). الموطأ. أبو ضبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية.
- الأهدل، هاشم علي (١٤١٣هـ). التربية الذاتية من الكتاب والسنة. رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، كلية التربية- قسم التربية الإسلامية والمقارنة.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢هـ). صحيح البخاري. (د.م): دار طوق النجاة.
- بكار، عبد الكريم (١٤١٥هـ). من أجل انطلاقة حضارية شاملة. الرياض: دار المسلم.
- بكار، عبد الكريم (١٤٣١هـ). اكتشاف الذات دليل التميز الشخصي. ط٤، الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (١٤٢٣هـ). شعب الإيمان. الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع.
- الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٣هـ). التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الجندي، أنور (١٩٧٥م). التربية وبناء الأجيال في ضوء الإسلام. بيروت: دار الكتب اللبناني.
- الحاكم، محمد بن عبد الله (١٤١١هـ). المستدرک علی الصحیحین. بیروت: دار الكتب العلمية.

- حمدان، محمد زياد (١٤١٠هـ). التلاميذ يديرون أنفسهم استراتيجياً متكاملة جديدة في التربية الذاتية. عمان: دار التربية الحديثة.
- الحميري، نشوان بن سعيد (١٤٢٠هـ). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم. بيروت: دار الفكر المعاصر، ج ١.
- الخطيب، أحمد بن علي (١٣٩٥هـ). الرحلة في طلب الحديث. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الخطيب، أحمد بن علي (د. ت). شرف أصحاب الحديث. أنقرة: دار إحياء السنة النبوية.
- الدويش، محمد عبدالله (١٤٣٢هـ). التربية الجادة ضرورة. الرياض: مدار الوطن للنشر.
- الذهبي، محمد بن أحمد (١٣٨٢هـ). ميزان الاعتدال في نقد الرجال. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ج ٣.
- رمضان، منظور بن محمد (١٤٢٨هـ). العزم في القرآن الكريم دراسة موضوعية. مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشرعية واللغة العربية وأدابها، العدد (٤٣)، ص ١٥٦.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (١٤٢٠هـ). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، عبد الرحمن ابن أبي بكر (١٤٢٣هـ). الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير. بيروت: دار الفكر، حديث رقم (٤٣٦٤)، ج ١.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى (١٤١٧هـ). الموافقات. الخبر: دار ابن عفان، ج ٥.
- الشمري، محمد مطلق (١٤٢٨هـ). العلاقات الإنسانية مع غير المسلمين في ضوء التربية الإسلامية وتطبيقاتها في الواقع المعاصر. رسالة دكتوراه. مكة المكرمة: جامعة أم القرى. كلية التربية- قسم التربية الإسلامية والمقارنة.
- الشوكاني، محمد بن علي (١٤١٤هـ). فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير. دمشق: دار ابن كثير، ج ٤.
- الطلابي، علي محمد (١٤٢٢هـ). الوسطية في القرآن الكريم. الشارقة: مكتبة الصحابة.
- عبد الكبير، صالح عبدالله؛ وآخرون (١٤٢٩هـ). معوقات تعليم مهارة التفكير في مرحلة التعليم الأساسي (دراسة ميدانية). الجمهورية اليمنية، مركز البحوث والتطوير التربوي، عدن.
- عبد المعطي، حسن مصطفى، قناوي، هدى محمد (د. ت). علم نفس النمو. دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ج ٢.
- عطار، ليلي عبد الرشيد (١٤١٩هـ). آراء ابن الجوزي التربوية. رسالة دكتوراه، جدة: كلية التربية للبنات.
- عوض، فكرت إبراهيم (٢٠٠٥م). الفكر التربوي عند الإمام ابن الجوزي. رسالة دكتوراه، الأردن: الجامعة الأردنية، كلية التربية- قسم أصول التربية.
- العيني، محمود بن أحمد (د. ت). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج ٧.

القيرواني، إبراهيم بن علي (١٤١٧هـ). زهر الآداب وثمر الألباب. بيروت: دار الكتب العلمية، ج ١.

اللولو، فتحية صبحي (٢٠٠٦م). استراتيجيات حديثة في التدريس. بحث غير منشور. غزة- الجامعة الإسلامية- كلية التربية- قسم المناهج وتكنولوجيا التعليم.

الماوردي، علي بن محمد (١٩٨٦م) أدب الدنيا والدين.(د.م): دار مكتبة الحياة.

مدكور، أحمد علي (١٤١١هـ). منهج التربية في التصور الإسلامي. بيروت: دار النهضة العربية.

مرسي، محمد منير (١٤٢٥هـ). التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية. عالم الكتب.

المنأوي، محمد بن عبدالرؤوف(١٤٠٨هـ). التيسير بشرح الجامع الصغير. ط٣، الرياض: مكتبة الإمام الشافعي، ج ١.

المنأوي، محمد بن عبدالرؤوف (١٤١٠هـ). التوقيف على مهمات التعاريف. القاهرة: عالم الكتب، ص ٢٩٧.

النجار، ربا عبدالرحمن(٢٠٠٩م). ملامح التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي. رسالة ماجستير غير منشورة، غزة: الجامعة الإسلامية، كلية التربية- قسم أصول التربية الإسلامية.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج(د.ت). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

يالجن، مقداد (١٤٢٥هـ). التربية الذاتية القيادة النموذجية ومضاعفة الإنتاجية. الرياض: عالم الكتب.